


جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

منهج التدبر عند الشيخ محمود توفيق محمد سعد (المعنى القرآني أنموذجاً)

إعداد

الباحثة/ فاتن سعد زيني
قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الأول-فبراير)
(الجزء الرابع (١٤٤٥هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م



منهج التدبر عند الشيخ محمود توفيق محمد سعد (المعنى القرآني أنموذجًا)

فاتن سعد زيني
قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى
البريد الإلكتروني: Faten.saad1063@gmail.com

الملخص

قامت هذه الدراسة على استقراء منهج التدبر عند الشيخ محمود توفيق في كتابه الفضيل (المعنى القرآني : معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة – رؤية منهجية ومقاربة تأويلية)، حيث امتاز الشيخ محمود بغزارة علمه، ورجاحة عقله، ونباهته وفطنته في تدبر آيات الكريم، مما أثرى كتابه ودمْجُه لعلم التدبر وعلم البلاغة، وإبراز دورهما في الوصول إلى المعنى القرآني العظيم .

وخطة البحث تقع في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، الفصل الأول: مفهوم التدبر وأهميته وغايته وفضله وثمرته ودرجاته. والفصل الثاني: منهجية الشيخ في كتابه المكوّن من (شريجين ومعاقد)، ومنهجية عرضه للسور تدبريًّا وبلاغيًّا . والفصل الثالث: آليات التدبر للقرآن عند الشيخ محمود توفيق، من خلال دراسة الظواهر اللغوية وفقه الاستنباط وسبله والسياق في كتابه الفضيل، يسبقها تمهيد عن الشيخ ويشتمل على اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، وحياته العلمية ومؤلفاته وإنجازاته.

ومن أهم ما خلصت إليه الدراسة: أن علم البلاغة له دور أساس في تدبر القرآن، وذلك من خلال معرفة المعنى المقصود من المفردة والآية والسورة . أن منهج التدبر عند الشيخ محمود ظاهرٌ في جميع زوايا كتابه، فهو يتدبر البيان العالي، وغيره مثل كلام الإمام عبد القاهر، فمنهج التدبر عنده أصبح سمة من سماته. أن الشيخ محمود وظف منهج التدبر للغرض المحوري، وهو الوصول إلى المعنى القرآني وبيان

حركة ذلك المعنى. أن الشيخ محمود توفيق جعل القراءة التدبرية هي السبيل الأعظم إلى حسن استنباط المعاني من البيان العالي. أن الشيخ محمود توفيق كان حريصًا على أن يجعل المتلقي يدرك عظمة تدبر المعنى القرآني، ولكنه كان أشد حرصًا في أن يدله على الطريق القويم في سبيل الغوص للمعنى القرآني، وذلك كله مدفون في خبايا كتابه المنير.

الكلمات المفتاحية:

التدبر – المعنى القرآني– بلاغة – بلاغة قرآنية – تناسب – محمود توفيق.

The method of contemplation according to Sheikh Mahmoud Tawfiq Muhammad Saad (The Qur’anic meaning as an example)

Faten Saad Zaini
Department of Rhetoric and Criticism, College of Arabic Language, Umm Al-Qura University
Email: Faten.saad1063@gmail.com

Abstract :

This study is based on an extrapolation of contemplation approach of Sheikh Mahmoud Tawfiq in his book Al-Fudail (The Qur’anic Meaning: Milestones of the Path to His Jurisprudence in the Context of the Surah - A Systematic View and Interpretive Approach Where Sheikh Mahmoud was distinguished by abundance of his knowledge, wisdom of his mind, his intelligence, and his acumen in reflecting on verses of the Noble Qur’an .Which enriched his book by integrating the science of contemplation, the science of rhetoric and highlighting their role in reaching the great Quranic meaning.
In the introduction, I mentioned the definition of the sheikh, his name and lineage, his birth, upbringing, his scholarly life, his writings and his achievements. First chapter, I mentioned the concept of contemplation, its importance, purpose, virtue, fruit, and degrees ، Second chapter examined the Sheikh's methodology in his book, which consisted of (Sherijeen wa Ma'aqid), and the methodology of his deliberation and rhetorical presentation of the surah's. Third chapter mentioned the mechanisms of contemplation of the Qur’an with Sheikh Mahmoud Tawfiq, through linguistic phenomena, the jurisprudence of deduction, its means, and the context.
The study found that Sheikh Mahmoud employed the contemplation approach for the pivotal purpose, which is to connect to the Qur’anic meaning, clarify the movement of that

meaning, and that he made contemplative reading the greatest way to eliciting meanings from higher statement

Keywords :Contemplation, Quranic Meaning, Methodology of Sheikh Mahmoud Tawfiq.



قوله تعالى:

﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ **[سورة هود:١].**

إهــداء

إلى:

أمي وأبي وأخواتي، وصديقاتي، وكل المقربين الذين ساندوني بالقول والفعل وأناروا دربي بدعائهم.

إليكم أهدي هذا البحث مع امتناني وعرفاني بالجميل الذي لن يكفي ويفي حقكم علي، ولكني أرجو أن تصل إليكم مشاعري مع كلماتي، وتبهجكم وتذكركم بأنكم السند الذي أسهم في وصولي إلى هذه اللحظة بكل فخرٍ واعتزاز بما حققته لي ولكم من نجاح.

وإلى:

أ.د محمود توفيق محمد سعد أ.د سعود حامد مرزوق الصاعدي

بفضل الله ثم بفضل عطائكم بالعلم الذي أسهم بشكل كبير في تحقيق الأثر النيِّر في مسيرتي، أهدي إليكم هذا البحث وأسأل المولى أن يكون عَطِراً مثل عطائكم وكرمكم.

فاتن زيني

المقدمة

الحمد لله معزّ من أطاعه واتّقاه، ومذل من أضاع أمره وعصاه، أحمده حمدًا يملأ أرضَه وسماه، وأشكره على جزيل فضله وسوابغ نُعماه، وأشهد أن لا إله إلا الله لا معبود بحق سواه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي اصطفاه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ومن تبع هداه إلى يوم الدين، وبعد:

فقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

إن الله عزو جل أنزل كتابه على رسوله – صلى الله عليه وسلم – ليتدبّر الناس آياته ويفهموا معانيه ومراميه، ويغوصوا في أعماقه؛ ليستخرجوا من مكنونه أحكاما وتشريعات، فكلما تدبّر العبد آيات الله جدّ له من جديد المعاني، فالقرآن كالنبع الصافي الفيّاض الذي لا ينقطع ماؤه ولا يتوقف عطاؤه.

إن صفة التدبر يمتاز بها أصحاب العقول والنفوس الحية، ويرفل بها أهل النفوس الرضيّة لفهم كتاب الله، فنجد العقل البلاغي يشمل صفة التدبر بواسطة معرفة المقصود من المفردة والآية والسورة والوحدة الموضوعية؛ لذلك العقل البلاغي يقوم على تحقيق تدبر عالي المستوى لفهم كتاب الله.

فنجد أن دراسة منهج التدبر في آيات الله من جانب بلاغي دراسة لطيفة وطريفة، لذلك وجدت كتاب المعنى القرآني للشيخ محمود توفيق محمد سعد يقوم على منهج التدبر القرآني من منظور بلاغي، وأُفرغ من كتابة كتابه (المعنى القرآني) عام ١٤٤٢هـ في شهر محرم الذي يحتوي على ٥٣٦ صفحة، قد يكون هذا الكتاب لبنة من لبنات كتابه: (العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة) الذي ألفه عام ١٤٢٤هـ ويحتوي على (٢٧٦) صفحة، فالقارئ لكتابيّ الشيخ يجد أن كتاب العزف على أنوار الذكر هو المعنى القرآني ذاته، فهو

كتبه حتى يصيد فرائده ولكن عندما كثر الجدل حول المسمى (العزف على أنوار الذكر) استبعده تماما ثم نقحه ورتبه وأكثر من الشواهد والتنظير في كتابه المعنى القرآني، وخرج بهذا الكتاب القيّم بعد ثماني عشرة سنة من كتابة كتابه الأول العزف على أنور الذكر .

أفصح كتاب المعنى القرآني القائم على تدبر معاني القرآني بمنظور بلاغي عن مكنون ما فيه، وأبان لنا أسرار ما فيه من الهدايات، وأن القرآن الكريم هو هدى من الله وأن هذه الصفة العظيمة هي التي يستقيم بها العبد في حياته، فالقرآن الكريم هو منهاج أمة محمد ﷺ ودستور تسير عليه؛ لتضبط أفعال هذه الأمة ويكون هذا القرآن دليلا ومرشدا لها، فهذا الكتاب المبارك تكلف الله بحفظه من التحريف والتغيير؛ ليكون الدليل الأفضل والأكمل لهذه الأمة، فالله جل جلاله حث هذه الأمة على تدبر آياته، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

ويسعى كتاب الشيخ محمود توفيق المعنى القرآني إلى أن يجعل من طالب العلم مثوبته على الحرف من القرآن ألفا وما فوقه وذلك بحسن تدبر كل فعل من أفعال التلقي عن الله جل جلاله، لذلك أقام كتابه على تحليل آيات الله بلاغيًّا بعين متدبر ومتبصر ومتفكر في عمق معانيه، ويمكن أن نجعل كتابه جانبين:

أ- جانب نظري (يتمثل في الشريج الأول).
ب- جانب تطبيقي (يتمثل في الشريج الثاني).

فالضابط الكلي لمنهاج كتابه قائم على الوحي المنزّل على نبيه العظيم والمتحدي به قوم برعوا في الفصاحة والبلاغة، ولكنهم عجزوا أمام كلمات الله سبحانه وتعالى؛ ومن خلال ذلك قام كتابه على بيان بلاغة القرآن الكريم، وكما أنه بيّن أن مدارسة القول الإلهي يختلف عن مدارسة القول البشري سواء كان شعرا أو نثرا؛ لأن مدارسة

كلام الله يتطلب أمورا تتعلق بعوامل حسن التلقي عنه وقد بيّنها في كتابه.

أهمية الموضوع:

- إن كتاب المعنى القرآني للشيخ محمود توفيق على الرغم من قيمته العلمية وعظم شأنه؛ لم يحظ بدراسة طلاب العلم كما حظي غيره من كتب البلاغة، لهذا رأيت أن اتجه لدراسة كتاب الشيخ محمود توفيق – المعنى القرآني – لأسلط الضوء عليه.
- كشف أهمية التدبر القرآني وعلاقته بالبحث البلاغي عند الشيخ محمود توفيق.
- دور البلاغة في تدبر معاني القرآن الكريم، فإن علم البلاغة وسيلة أساسية لفهم كتاب الله، ولا يمكن فهم القرآن إلا من خلال تعلم فنون بلاغة العرب، لذلك تجد أن علم البلاغة علم قرآني ؛ لأنه تفسير واستنباط وتدبر للبيان العالي.

أسباب اختيار الموضوع:

أردت بحثي أن يكون له جانبان: أحدهما دراسة بلاغية والأخرى دراسة أصولية في القرآن، فاقترح عليّ الدكتور سعود الصاعدي هذا الموضوع (منهج التدبر عند الشيخ محمود توفيق في كتابه المعنى القرآني)، بهدف بيان منهج التدبر في كتابه وعلاقة التدبر بالمنظور البلاغي، وان بلاغة القرآن قائمة على ركيزة تدبر كلمات الله ومعانيها .

وظهرت جملة من الدوافع أسهمت في اختيار هذا الموضوع ودراسته، من أهمها:

- قلة الدراسات التي تناولت منهج التدبر من منظور بلاغي، وندرة الدراسات حول الشيخ محمود توفيق وكتبه، وذلك يعد مسوغا بأن يكون البحث موضوعًا جديرًا بالدراسة .
- حجم الفائدة التي تتحقق من إقامة منهج التدبر القرآني بمنظور بلاغي، وإثراء الدرس البلاغي بهذا المنهج القائم على التبصر والتفكر والإحساس بكلمات الله ومعانيها .

- جمالية أسلوب الشيخ الذي يجمع بين الدرس الأصولي والدرس البلاغي، حتى مزج بين علم التدبر وعلم البلاغة في تحليل معاني القرآن .
- الرغبة في كتابة بحث ينتفع به العامة والخاصة من المسلمين؛ لاستثمار التدبر القرآني وبلاغته في رحلة التفهم لكتاب الله واستنباط معانيه واستخراج مكنون أسراره.
- الانتقال من بلاغة الكلمة ونظمها إلى علم المقاصد في السورة وهيئتها من خلال تدبر الآيات والتبصر بها.
- هذه الدراسة إسهام مني في خدمة كتاب الله تعالى، عن طريق هذا الشيخ الفضيل وكتابه الذي مزج بين التدبر وبلاغة القرآن.

ولهذه الأسباب أحببت الموضوع، ولاقى من نفسي ميلًا شديدًا وبخاصة وجدت التشجيع من أستاذي الدكتور سعود الصاعدي، والقبول والإرشاد والتوجيه من فضيلة أستاذتي الدكتورة منال الهذلي، فجزاهما الله خير الجزاء.

أهداف الدراسة:

يطمح البحث أن يحقق جملة من الغايات، ويكشف عنها، من أهمها:

- بيان المعالم الرئيسة لمنهج التدبر في كتاب الشيخ محمود توفيق (المعنى القرآني).
- فتح باب الدراسات العلمية عن الشيخ محمود توفيق وكتبه .
- الكشف عن آليات التدبر القرآني عند الشيخ محمود توفيق .
- الوقوف العميق على علاقة التدبر ببلاغة القرآن عند الشيخ محمود توفيق .
- إنعام النظر في قضايا مهمة في الدرس البلاغي وهي تدبر الآيات والتفكر في معانيها واستخراج مكنونها.
- إبراز أثر تدبر الشيخ محمود توفيق وتبصره في علم التناسب وبيان معالم الطريق إلى الفقه القرآني.

حدود الدراسة ومتنها:

تتحد هذه الدراسة بدراسة كتاب الشيخ محمود توفيق – المعنى القرآني – وبيان منهج التدبر فيه.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

- **من أين استوحى محمود توفيق منهج التدبر؟ وكيف تكونت هذه الفكرة لديه ؟ وكيف ربطه بالبحث البلاغي؟**
- **ما الإجراءات المنهجية التي قامت عليها دراسة الشيخ محمود توفيق في كتابه؟**
- **هل تدبر القرآن له درجات على حسب متلقي القرآن ؟**
- **ما الغاية البلاغية التي تحققها آليات التدبر القرآني؟**

تحاول هذه الدراسة أن تجيب على هذه الأسئلة وتكشف لك عن مكنون هذا المنهج القائم على علمين، علم أصولي، وعلم بلاغي، مبينة طبيعة منهج الشيخ محمود توفيق التدبري في كتابه المعنى القرآني .

ومن الصعوبات التي واجهت الباحثة في هذه الدراسة، ندرة الدراسات العلمية حول الشيخ محمود توفيق؛ لذلك واجهت صعوبة في إيجاد سيرة علمية للشيخ محمود توفيق – حفظه الله –، فلم أجد دراسات تُعرف بالشيخ وحياته؛ لذلك رجعت إلى الشيخ محمود توفيق في توثيق سيرته العلمية، ورجعت أيضًا إلى تلامذة الشيخ لأستمد منهم معلومات عنه .

الدراسات السابقة:

لم تعثر الباحثة على دراسة بعينها حول: منهج التدبر عند الشيخ محمود توفيق، كتابه المعنى القرآني أنموذجا، ومن الجدير بالذكر عرض الدراسة السابقة التي انتفعت بها في هذه الدراسة، وهي: استراتيجية ابن باديس في تدبر القرآن، محمد عبد الله زرمان.

منهج الدراسة: يقوم هذا البحث على " المنهج الاستقرائي " الذي يتمثل في دراسة جهد الشيخ محمود توفيق في كتابه المعنى القرآني، بهدف معرفة المنهجية التي قام عليها الكتاب والطرق العلمية التي سلك عليها في منهجه التدبري وربطه بالبحث البلاغي في فهم المعاني القرآنية.

خطة الدراسة: فقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من تمهيد ومقدمة وثلاث فصول وخاتمة احتوت على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، متبوعة بقائمة المصادر والمراجع ثم فهارس، ويمكن تفصيل ذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتحتوي على فكرة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، وحدود الدراسة، ومشكلة البحث، وأسئلته، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث .

التمهيد: التعريف بالشيخ محمود توفيق:

١- اسمه ونسبه .
٢- مولده ونشأته .
٣- حياته العلمية ومؤلفاته.

الفصل الأول: التدبر القرآني:

١- مفهوم التدبر وأهميته وغايته .
٢- فضل التدبر وثمرته ودرجاته .
٣- علاقة السامع والقارئ بعلم التدبر.

الفصل الثاني: منهج التدبر في كتابه المعنى القرآني (معالم الطريق إلى فقهه في سياق الصورة رؤية منهجية ومقاربة تأويلية) .

١- مقدمة كتابه .
٢- منهجية التدبر في الشريج الأول عنده (في المصطلح وما إليه).
٣- منهجية التدبر في الشريج الثاني له .

٤- منهجية عرضه للسور القرآنية تدبريًا وبلاغيًا .

الفصل الثالث: آليات التدبر للقرآن عند الشيخ محمود توفيق:

١- الظواهر اللغوية

٢- فقه الاستنباط وسبله

٣- السياق

الخاتمة: تحتوي على أهم النتائج والتوصيات .

وبعد..

فإنني أتقدم في نهاية هذه المقدمة بالشكر والعرفان والتقدير إلى أساتذتي الكرام الذين أسهم وجودهم في إنجاح رحلتي ونمائها، وبفضل الله ثم بفضل إشرافهم وتوجيهاتهم بلغ بحثي مشارف النهاية، إلى مشرفة البحث: د. منال مبطي حامد مسعود الهذلي، لكي مني خالص امتناني على عطائك المزهر في طريقي، شكرًا لكل خطوة ألهمتني بها، ولكل وجهة وجهتني إليها.

وإلى د. موسى درباش الزهراني، د. تغريد عبد العزيز المبارك، د. هنادي محمد حسن بحيري، د. نداء ثابت سلطان الحارثي، د. عائشة حسين بارودي، د. كوثر محمد القاضي أقدم لكم جزيل الشكر والعرفان لما قدمتموه لي من توجيه وإرشاد خلال مسيرة دراستي، وأسأل المولى الكريم أن يجعله في ميزان حسناتكم وأن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح. فإن وُفقت فلله الحمد والمنِة في الأولى والآخرة، وإن كانت الأخرى، فالكمال لله وحده. وأسأله تعالى ألا يضيِّع لي أجرًا، هو مولاي، فنعم المولى، ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين

فاتن زيني

التمهيد

إن القرآن الكريم له مقاصد وغايات يهدف إلى تحقيقها في هذه الحياة، مقاصد ارتضاها الله تعالى لخلقه، وأمر بالعمل في سبيلها، فمقاصد القرآن ما هي إلا نتاج تشريعات إلهية، في نصوص معجزة في نظمها ومعانيها، فقد أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسوله الشريف ﷺ لتكون مصدرًا للأحكام والتشريعات وتكون منهاجًا في حياتهم، وترشدهم للطريق الحق القويم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]، فإن لغة هذا الكتاب الكريم هي العربية الفصيحة، فإن الكشف عن مقاصد القرآن الكريم متوقف على الإحاطة بعلوم العربية إحاطة تؤهل العبد إلى حل رموز اللغة ومعرفة أسرارها واستخراج معاني مفرداتها، وللقرآن الكريم علاقة وثيقة بعلم البلاغة، فهو وجهٌ من وجوه إعجازه، كما أنه يكشف لك مقاصد القرآن ويستخرج لك أسراره البلاغية، والصلة بين علم البلاغة والعلوم الشرعية واضحة وجلية، ومن رواد هذا المنهج الذي جمع بين العقل الأصولي والبلاغي: الشيخ محمود توفيق محمد سعد – حفظه الله ورعاه –

التعريف بسيرة الشيخ محمود توفيق ونشأته ومكانته العلمية

أولا: اسمه ونسبه وكنيته ومولده ونشأته

هو محمود توفيق محمد سعد طه سعد القاضي العُمَريّ، ينتمي إلى قبيلة «الأمارة» التي ينتهي نسبها إلى سيّدنا "عُبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب" – رَضيَ اللهُ عَنْهُ – بصعيد مصر. ولد عام ١٩ / ٩ / ١٣٧٠هـ – ٢٣ / ٦ / ١٩٥١ م، في الصعيد بمصر (محافظة الأقصر – مركو إسنا – قرية الدّير).

سكنه الحالي بالقاهرة في مدينة الشروق – المنطقة التاسعة – المجاورة السادسة – خلف مسجد المتوكل. شارع عبد الحكيم ضِرار – عمارة رقم(٦٥) .



ثانيًا: مراحل تعلمه

أتم حفظ كتاب الله تعالى عام ١٣٨١هـ على يد شيخه" فتح الله جبر محمود الوكيل العُمرِيّ " رحمه الله تعالى، وتلقى تعليمه جميعًا في المرحلة الابتدائية من الأزهر الشّريف عام(١٣٨٢هـ - ١٤٠٣هـ)، والشهادة الإعدادية الأزهرية من معهد إسنا الإعدادي الأزهري عام ١٣٨٦هـ، والشهادة الثانوية الأزهرية(الشّعبة الأدبية) من معهد أسوان الثانوي الأزهري عام ١٣٩٠هـ، وحصل على الإجازة العالية (الليسانس) من كلية اللغة العربية بالقاهرة الشعبة العامة عام ١٣٩٤هـ بتقدير(جيد جدًا مع مرتبة الشرف)، ونال على درجة الماجستير في البلاغة والنقد من كلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٣٨٩هـ وموضوع الماجستير: آراء العصام في شرح السمرقندية – وقيمتها البلاغية والنقدية – سنة ١٣٨٩هـ (تقدير ممتاز)، وحصل على درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد من كلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٤٠٣هـ وموضوع الدكتوراة: التناسب القرآني عند البقاعي (دراسة بلاغية) ١٤٠٣ هـ، تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.

ثالثًا: تدرجه الوظيفي

عين من بعد أدائه الخدمة العسكرية في الجيش المصريّ مدرسًا بالمرحلة الثانوية في الأزهر الشريف عام ١٣٩٥هـ، ثم عين معيدًا في كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر عام ١٣٩٧هـ، ثم رقي إلى درجة مدرس مساعد(محاضر) عام ١٣٨٩هـ، وقد عين مدرسا (أستاذ مساعد) في قسم البلاغة والنقد في الكلية نفسها عام ١٤٠٣هـ، ثم رقي إلى درجة أستاذ مساعد (أستاذ مشارك) عام (١٤٠٨هـ)، ثم رقي إلى درجة أستاذ في القسم نفسِه عام ١٤١٣هـ.

الوظيفة الحالية:

أستاذ في قسم البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات –

جامعة الأزهر- القاهرة، وعضو هيئة كبار العلماء في الأزهر الشريف.

رابعًا: خبراته العلمية والإدارية

أستاذ ورئيس قسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر - فرع المنوفية. عضو هيئة كبار العلماء في الأزهر الشريف(لجنة التفسير وعلوم القرآن). عضو مجلس الكلية من سنة ١٤١٣- ١٤١٩هـ، ومن سنة ١٤١٢- ١٤٢٥هـ. عضو اللجان العلمية والثقافية والإدارية المنبثقة من مجلس كلية اللغة العربية جامعة الأزهر فرع المنوفية. عضو لجنة المحكّمين في اللجنة العلمية الدائمة لترقية أعضاء هيئة التدريس في جامعة الأزهر. عضو لجنة الدراسات العليا في مجلس كلية اللغة العربية جامعة الإمام بالرياض من سنة ١٤١٩-١٤٢١هـ. عضو لجنة الدراسات العليا في مجلس كلية اللغة العربية جامعة أم القرى بمكة المكرمة من سنة ١٤٢٥ - ١٤٣٥هـ . عضو لجنة التحكيم العلمي للبحوث في مجلة جامعة أم القرى للدراسات الإسلامية واللغة العربية. عضو لجنة التحكيم العلمي للبحوث في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. عضو لجنة تطوير برنامج الدكتوراه لتخصص الأدب والبلاغة والنقد(كلية اللغة العربية جامعة أم القرى). عضو لجنة تطوير برنامج الماجستير في الأدب والبلاغة والنقد(كلية اللغة العربية جامعة أم القرى). عضو لجنة تطوير برنامج قسم البلاغة والنقد (كلية اللغة العربية جامعة أم القرى). عضو لجنة إنشاء وإعداد مركز تنمية المهارات اللغوية والاستشارات في كلية اللغة العربية. عضو الهيئة الاستشارية لمجلة "جذور" الصادرة عن نادي جدة الثقافي .

خامسًا: إشرافه على البحوث العلمية ومناقشتها

أشرف على أكثر من ثلاثين رسالة ماجستير ودكتوراه في جامعة الأزهر والإمام محمد بن سعود بالرياض وجامعة المنوفية كلية الآداب، وكلية اللغة العربية جامعة أم القرى، وناقش أكثر من خمسين رسالة ماجستير ودكتوراه في جامعة الأزهر والإمام

محمد بن سعود بالرياض، وكلية اللغة العربية جامعة أم القرى، وكلية الآداب جامعة البحرين، وكلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وكلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

سادسًا: أعماله العلمية المنشورة (الكتب والبحوث)

أولا: المؤلفات

- سبل الاستنباط من الكتاب والسنة عند الأصوليين، دراسة بلاغية ناقدة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.
- دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين، دراسة بلاغية ناقدة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.
- المعنى القرآني: معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.
- الكلمة نور مقاربات منهجية في كتاب "شرح أحاديث من صحيح مسلم، لشيخنا أبي موسى"، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.
- صورة الأمر والنهي في القرآن الكريم، توزيع مكتبة وهبة، القاهرة.
- إشكالية الجمع بين الحقيقة والمجاز في ضوء البيان القرآني، توزيع مكتبة وهبة، القاهرة.
- فقه بيان النبوة – دراسة في البلاغة النبوية، توزيع مكتبة وهبة، القاهرة.
- من ميراث النبوة – دراسة في البلاغة النبوية، توزيع مكتبة وهبة، القاهرة .
- علم البديع عند الشيخ محمد أبي موسى، نشر مكتبة وهبة، القاهرة

- الإمام البقاعي (جهاده ومنهجه في التأويل البلاغي للقران الكريم)، توزيع مكتبة وهبة، القاهرة.
- الإمام أبو حنيفة بليغًا، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.
- الرجال قوامون على النساء، نشر مكتبة وهبة، القاهرة .
- من أسرار البلاغة القرآنية في سورة المسد، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.
- تقريب رسالة القواعد للشيخ أحمد بنإدريس الفاسي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.
- في نقد العقل البلاغي، نشر مشيخة الأزهر الشريف، القاهرة .
- فقه تغيير المنكر – سلسلة كتاب الأمة (العدد ٤١)، وزارة الأوقاف، قطر.
- تغييب الإسلام الحق، نقض افتراءات العلمانيين على القرآن الكريم، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، في موقف دعاة التنوير.
- الهجرة في طلب العلم، نشر مكتبة العرفاء للنشر والتوزيع، القاهرة.
- الاحتفال بذكرى ميلاد سيد الأنبياء أحكام وآداب، مكتبة وهبة، القاهرة.
- مسالك العطف بين الإنشاء والخبر في البيان القرآني، مكتبة وهبة، القاهرة .
- قضايا نقدية في طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحيّ، نشر مكتبة علاء الدين، شبين الكوم – المنوفية، مصر.
- نسق بناء القصيدة عند ابن طباطبا، نشر مكتبة علاء الدين، شبين الكوم – المنوفية، مصر.
- المدخل إلى علم بلاغة العربية (على نفقة المؤلف – نفد).
- قراءة في المثل السائر لابن الأثير(على نفقة المؤلف – نفد).

- تثوير القول بالصرفة – دراسة ناقدة في إعجاز القرآن (على نفقة المؤلف – نفد).
- معالم التثقيف والتكليف في آيات الربا من سورة البقرة(على نفقة المؤلف – نفد).
- قطر الندى – معالم الطريق إلى فقه الشعر(على نفقة المؤلف – نفد).
- شذرات الذهب: دراسة في بيان القرآن (على نفقة المؤلف – نفد).
- التحبير دراسات في علم البديع (على نفقة المؤلف – نفد).
- التذكرة في معاني النحو (على نفقة المؤلف – نفد).
- دقائق القصر تحريرًا وتصويرا (على نفقة المؤلف – نفد).

ثانيا: البحوث المنشورة في المجلات العلمية والمؤتمرات

- الدراسات البلاغية العليا في جامعة الأزهر، الداء والدواء، مؤتمر النهوض بالبحث البلاغي، جامعة الأزهر، سنة ٢٠١٦م.
- عوائق بناء العقل العلمي، وأثرها في تحقيق الأمن الفكري، جامعة الأزهر أنموذجا، (نشر في الكتاب التذكاري: شيخ البلاغيين محمد أبو موسى– بحوث مهداه لفضيلته بمناسبة تجاوزه الثمانين عاما)،نشر مكتبة وهبة، القاهرة.
- اتساع الرؤية القلبية للمعنى القرآني، العوامل والعوائق، المجلة العلمية لكلية القرآن والقراءات وعلومها، جامعة الأزهر، العدد ٤، عام ١٤٤٠هـ.
- في بلاغة التناسب القرآني، مقاربات منهجية في تأصيله وأصوله، نشر في كتاب المؤتمر العلمي الدولي في مناهج البحث في بلاغةِ القرآن الكريم، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض .

- التفكير البلاغي في بيان الوحي – كتاب ندوة: البلاغة العربية، سؤال الهوية وآفاق المنهج، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، عام ١٤٣٣هـ .
- مستويات بناء صورة المعنى – نشر في دورية " جذور" نادي جدة الثقافي، العدد ٣٢، في شوال ١٤٣٣هـ.
- فقه التعبير القرآني في ضوء مقامات القرب، بحث في حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية .
- أبو فهر محمود شاكر وقضية عمر الشعر الجاهلي، مجلة الأدب الإسلامي.
- الاستفهام القرآني: دقائق ورقائق، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، المنوفية.
- نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، المنوفية .
- مراجعات ناقدة في علاقات الجمل، نشر في دورية" جذور" نادي جدة الثقافي، العدد٤٠، في رجب ١٣٣٦هـ.
- منهاج الدعوة إلى الله في ضوء البناء التركيبيّ لصورة المعنى، كتاب ندوة الدراسات البلاغية، الواقع والمأمول، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٣٢هـ.
- منهج الدعوة إلى الله تعالى في سورة النحل- كتاب مؤتمر كلية اللغة العربية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- نقد مذهب التقي السبكي في منع دلالة التقديم على الحصر، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض .

- **الأغاريض في الفرق بين الكناية والتعريض، تأليف التقي السبكي: تحقيق ودراسة، بحث محكم نشر في مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، المنوفية .**

الفصل الأول

- مفهوم التدبر
- غاية التدبر وأهميته
- فضل التدبر
- ثمرة التدبر
- درجات التدبر
- علاقة القارئ والسامع بعلم التدبر

١ – ١ مفهوم التدبر:

في القرآن الكريم:

فقد جاء التدبر في الاستعمال القرآني بمعناه اللغوي، وهو: التفكر والنظر في أدبار الأمور، وجاءت هذه اللفظة في أربعة مواضع في القرآن الكريم بصريح الحث على التدبر، وهي [١]:

قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ **[ص: ٢٩].**

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ **[النساء: ٨٢].**

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ **[محمد: ٢٤].**

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ **[المؤمنون: ٦٨].**

وفي الأحاديث وأقوال الصحابة:

أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أخبرنا أبو عمرو بن السماك، حدثنا محمد بن غالب، حدثنا مسلم، حدثنا صدقة بن موسى والحسن بن أبي جعفر قالا حدثنا مالك بن دينار، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: « أتيتُ ليلةَ أُسري بي على قوم يُقرضُ شفاهُهم بمقاريضَ من نارٍ كلَّما قُرِضت وَفَت، فقلت :يا جبريل من هؤلاء؟ قال :خُطباءُ من أمّتك الذين يقولون ما لا

---

[١] بناءً على المعنى القريب للبحث، أي بمعنى التأمل والتفكر.



يفعلون. ويقرأون كتاب الله ولا يعملون » [١].

وعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال:" إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار" [٢].

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ :حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ نُعَيْمٍ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ مِخْرَاقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَ :ذُكِرَ لَهَا أَنَّ نَاسًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ فِي اللَّيْلَةِ مَرَّةً، أَوْ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَتْ :« أُولَئِكَ قَرَءُوا، وَلَمْ يَقْرَءُوا، كُنْتُ أَقُومُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ التَّمَامِ، فَكَانَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءِ، فَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا تَخَوُّفٌ، إِلَّا دَعَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْتَعَاذَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا اسْتِبْشَارٌ، إِلَّا دَعَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَغِبَ إِلَيْهِ»[٣].

وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ **[ص: ٢٩]، وما تدبر آياته إلا اتباعه، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفًا وقد أسقطه – والله – كله** [٤].

---

[١] شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق : عبد العلي عبدالحميد حامد، تخريج : مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ج٣، ص ٢٧٠.

[٢] التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين محيي بن شرف النووي، تحقيق : محمد الحجار، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ص ٥٤.

[٣] مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق : شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ج٤١، ص١٥٥.

[٤] شرح الاقتصاد في الاعتقاد، عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن الراجحي، الشبكة الإسلامية، ج٨، ص ١٠.

التدبر في اللغة:

إن لفظة التدبر هي مصدر من تدبر (تفعّل)، وهي من أصل (دَبَرَ)، وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): "الدَّالُ وَالْبَاءُ وَالرَّاءُ. أَصْلُ هَذَا الْبَابِ أَنَّ جُلَّهُ فِي قِيَاسٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ آخِرُ الشَّيْءِ وَخَلْفُهُ خِلَافُ قُبُلِهِ"[(١)].

وقال ابن منظور (٧١١هـ): "دبر :الدُّبُرُ والدُّبْرُ: نَقِيضُ القُبُل"[(٢)]، "ودَبَّرَ الأَمْرَ وتَدَبَّرَه :نَظَرَ فِي عَاقِبَتِه، واسْتَدْبَرَه: رأَى فِي عَاقِبَتِهِ مَا لَمْ يَرَ فِي صَدْرِهِ؛ وعَرَفَ الأَمْرَ تَدَبُّراً أَي بأَخَرَةٍ؛ قَالَ جَرِيرٌ:

وَلَا تَتَّقُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَكُمْ، ... وَلَا تَعْرِفُونَ الأَمرَ إلا تَدَبُّرَا.

والتَّدْبِيرُ فِي الأَمر: أَن تَنْظُرَ إِلى ما تَؤُول إِليه عَاقِبَتُهُ، والتَّدَبُّر :التَّفَكُّرُ فِيهِ"[(٣)].

والتدبّر جاء على وزن تفعّل ليدل على التكلف والتّفهم والتضرع، والفعل بإخلاص وبعناية وعن فكر ورويّة، بدليل الحث عليه والعمل به.

التدبر في الاصطلاح:

ومن تعريفات أهل العلم للتدبر في الاصطلاح:

قال الزمخشري: "تدبُّر الأمر: تأمُّله والنظر في إدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل، فمعنى تدبر القرآن :تأمل معانيه وتبصر ما

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الجزء الثاني، ص ٣٢٤.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، الجزء الرابع، ص ٢٦٨.

(٣) السابق، ص ٢٧٣.



فيه"[١].

قال ابن عطية: "النَظَرُ في أعْقابِ الأُمُورِ وتَأْوِيلاتِ الأشْياءِ "[٢].

قال أبو حيان: "وَهُوَ التَّفَكُّرُ فِي الآيَاتِ، وَالتَّأَمُّلُ الَّذِي يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى النَّظَرِ فِي عَوَاقِبِ الْأَشْيَاءِ"[٣].

قال السعدي: "وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك"[٤].

قال ابن القيم: "تَحْدِيقُ نَاظِرِ الْقَلْبِ إِلَى مَعَانِيهِ، وَجَمْعُ الْفِكْرِ عَلَى تَدَبُّرِهِ وَتَعَقُّلِهِ" [٥].

قال ابن عاشور: "التَّفَكُّرُ وَالتَّأَمُّلُ الَّذِي يَبْلُغُ بِهِ صَاحِبُهُ مَعْرِفَةَ الْمُرَادِ مِنَ الْمَعَانِي، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي كَلَامٍ قَلِيلِ اللَّفْظِ كَثِيرِ الْمَعَانِي الَّتِي أُودِعَتْ فِيهِ، بِحَيْثُ كُلَّمَا ازْدَادَ

---

[١] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، الجزء الأول، ص ٥٤٠.

[٢] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، الجزء الثاني، ص ٨٣.

[٣] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ، الجزء التاسع، ص ١٥٣.

[٤] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ص ١٨٩.

[٥] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ، الجزء الأول، ص ٤٤٩.

المتدبر تدبرا انكشفت لَهُ مَعَانٍ لَمْ تَكُنْ بادية لَهُ بادئ النَّظَرِ"[١].

وقال أيضًا: "تَعَقُّبُ ظَوَاهِرِ الْأَلْفَاظِ لِيَعْلَمَ مَا يَدْبِرُ ظَوَاهِرَهَا مِنَ الْمَعَانِي الْمَكْنُونَةِ وَالتَّأْوِيلَاتِ اللَّائِقَةِ"[٢].

وقال الدكتور مساعد الطيار: "هو إعمال الذهن بالنظر في آيات القرآن؛ للوصول إلى معانيها، ثم النظر إلى ما فيها من الأحكام والمعارف والعلوم والعمل "[٣].

لم يختلف العلماء في مفهوم التدبر عن مدلوله اللغوي، فعباراتهم متقاربة في تفسير معناه، وكما أنهم يرون أن التدبر هو: التأمل والنظر في أعقاب الأمور والتمعن والتبصر والتفكّر...، فالمعنى الاصطلاحي يعتمد على المعنى اللغوي، ثم ينطلق منه معنى جديدًا، ويضيف إلى وعائه مضمونًا، لم يكن موجودًا في معناه اللغوي، ويستمد روافده من الشريعة الإسلامية .

وعلى ضوء ذلك يمكن تعريف التدبر إجرائيا بأنه: أن ينظر العبد في آيات الله ببصره وبصيرته والنظر النافذ إلى خفايا الأمور والمعاني، وإعمال العقل في مقاصده ومعانيه، والانتفاع به إيمانًا وعملًا.

ومن خلال التعريفات السابقة نستخرجُ مراحلَ التدبر، وهي:

- القراءة.

---

[١] التحرير والتنوير " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ، الجزء ٢٣، ص ٢٥٢.

[٢] السابق.

[٣] مفهوم التدبر، تحرير وتأصيل، مساعد بن سليمان الطيار، أوراق عمل الملتقى العلمي الأول تدبر القرآن الكريم، إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م، ص ٧٧.



- التأمل.
- فهم المعنى.
- التأثر والخشوع.
- العمل.

ونجد في هذه المراحل ما هو نظري وما هو عملي:

فالقراءة والوقوف على الآيات وتأملها وفهم معانيها من الجانب النظري، والتأثر والخشوع والعمل بالقرآن من الجانب العملي.

٢ – ١ غاية التدبر وأهميته:

وتظهر أهمية التدبر في قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]، فجعل غاية الإنزال للقرآن التدبر والتذكر، فالتدبر هو المنهج القرآني المأمور به لقراءة القرآن العظيم، وأن الحكمة من إنزال هذا الكتاب المبارك هي أن يتدبر الناس آياته، ويستخرجوا أسراره وأحكامه، فالتأمل لمعانيه والتفكّر بآياته طريق يجعلك تدرك بركة هذا الكتاب وخيره، وكما أن الله جل جلاله جعل التدبر طريقا لإدراك هداية كتابه الكريم، وحث على تدبّر كتابه في قوله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾، فاللام تدل على الحكمة والغاية من الكتاب المبارك، وأن تدبر القرآن مقصد من مقاصد إنزاله، وركن متين من أركانه؛ لكونه سبيلا من سبل التعامل مع كلام الله عز وجل والتفاعل بآياته واتباع تعالميه، ويقول الدكتور محمد الجيزاني في الملتقى العلمي: "إن تدبر القرآن طريقة راقية للوعظ والتذكير، والنصيحة والإرشاد "[١]، فنجد في ثنايا كلامه ظهورًا بارزًا لأهمية التدبر بآيات الله؛ لأن المتدبر بكتاب الله هو العامل به، "فهو تجلٍّ لأسمى علاقة تربط المسلم بكلام ربه؛ لأن التدبر

---

[١] مفهوم التدبر، محمد بن حسين الجيزاني، أوراق عمل الملتقى العلمي، ص ١٣٣.

ينبع من الاهتمام الكبير الذي يوليه المتدبر لما بين يديه من الآيات الكريمة، يبحث فيها عن منهج الحياة، ويستنطق الآيات ويسائلها عن أمور حياته كلها كيف يريدها الله منه أن يسير فيها ويغوص بفكره عميقا في ألفاظها ومعانيها لعله يقتبس نورا من أنوارها إيمانا منه أن هذا الكتاب قد جمع بين دفتيه خيري الدنيا والآخرة "[١].

وقال الرسول ﷺ: « لو كان القرآن في أهاب ما مسته النار »[٢]، فمن تدبر القرآن وحفظه وعمله به؛ فتدبره هذا يشفع له يوم القيامة فلا تمسه النار.

وقال السعدي: "فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنه يعرِّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال، وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب. وكلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه"[٣]، وأيضًا التدبر الذي أمرنا وحثنا عليه سبحانه وتعالى هو سبيلٌ لإدراك مناط الإعجاز وهو بلاغة القرآن، وقد نبه عبد القاهر الجرجاني إلى سبيل الوصول إلى الأسرار من خلال الفكر والتأمل والتدبر .

نلخص أهمية تدبر القرآن في النقاط التالية:

- تحقيق الهدف الأساسي من إنزال القرآن وهو العمل به والاستجابة لأمر الله عز وجل.

---

[١] استراتيجية ابن باديس في تدبر القرآن، محمد عبد الله زرمان، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ٢٠١٦م، ص ٣٤.

[٢] مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، ج٢٨، ص ٦٣٦.

[٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص ١٨٩.



- الإيمان يزداد رسوخا بتدبر آيات الله وفهم معانيه.
- الهداية.
- اكتساب الطمأنينة والسكينة.
- تبيان الأحكام الشرعية.

٣ – ١ فضل التدبر:

إن تفهم القرآن وتدبره هو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم من التلاوة، فبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب؛ لذلك أثنى الرسول ﷺ على الناس على تدبر القرآن وتلاوته وتعلم معانيه وأحكامه، وقال ﷺ: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » [١].

وقال الإمام ابن تيمية: "ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام لا منظومه ولا منثوره"[٢].

وقال ابن القيم: "فقراءة الْقُرْآن بالتفكر هِيَ أصل صَلَاح الْقلب، وَلِهَذَا قَالَ ابْن مَسْعُود لا تهذوا الْقُرْآن هَذَا الشّعْر، وَلَا تنثروه نثر الدقل، وقفُوا عِنْد عجائبه، وحركوا بِهِ الْقُلُوب"[٣].

وقال الزركشي: "مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ وَفَهْمٌ وَتَقْوَى وَتَدَبُّرٌ لَمْ يُدْرِكْ مِنْ لَذَّةِ الْقُرْآنِ

---

[١] صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق : جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية بالمطبعة الأميرية، ببولاق – مصر، ١٣١١هـ ، ١٤٢٢هـ، ج٦، ١٩٢.

[٢] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، الجزء الثاني، ص ٢٧٠.

[٣] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، الجزء الأول، ص ١٨٧.

شَيْئًا"[1].

ومن أقوال العلماء نستخرج فضل التدبر في أربع نقاط:

- الاستجابة لأمر الله عز وجل والاقتداء برسوله الكريم ﷺ.
- فهم كتاب الله والكشف عن أسراره وكنوزه وثمراته.
- الصلاح في الدنيا والآخرة، فالتدبر هو منهج الحياة الذي حث به الله عز وجل عبادَه.
- صلاح القلب وشفاؤه.
- التلذذ بالقرآن وكلماته.

٤ – ١ ثمرة التدبر:

يقول ابن القيم: "فَلَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ، فَإِنَّهَا تُطْلِعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَذَافِيرِهِمَا، وَعَلَى طُرُقَاتِهِمَا وَأَسْبَابِهِمَا وَغَايَاتِهِمَا وَثَمَرَاتِهِمَا، وَمَآلِ أَهْلِهِمَا، وَتَتُلُّ فِي يَدِهِ مَفَاتِيحَ كُنُوزِ السَّعَادَةِ وَالْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَتُثَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتُشَيِّدُ بُنْيَانَهُ وَتُوَطِّدُ أَرْكَانَهُ"[2].

إن ثمرات التدبر وفوائده عديدة على العبد، ومنها:

- اليقين بالله وبكتابه.

---

[1] البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م، الجزء الثاني، ص ١٥٥.

[2] مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، الجزء الأول، ص ٤٥٠.

- تحصيل الهداية.
- تحصيل الشفاء والسعادة.
- تعظيم الثواب والأجر.
- تثبيت الإيمان بقلبه.

٥ – ١ درجات التدبر:

للتدبر درجات، وقد أوردها سلمان السنيدي في كتابه (تدبر القرآن) على أربع درجات[١]:

الدرجة الأولى: التفكُّر والنظر والاعتبار.

قال سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وهي سمة أهل العلم، ومن أشرف الأعمال؛ لأن الفكرة عمل القلب والعبادة عمل الجوارح، وكلما غاص فكرُ العبد في شيء اشتد له طلبه، فتكون نتيجة الفكِر في القرآن إرادة توجب العمل، فالفكر إذن هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها، ونقل من موت الفطنة إلى حياة اليقظة ومن الظلمات إلى النور، وتدبُّر كلام الله يوجب معرفة صفاته وأفعاله .

التفكر في القرآن نوعان:

- تفكر يقع على مراد الرب تعالى منه (تفكر في الدليل القرآني)، أي في آياته المسموعة.

---

[١] بتصرف من: تدبر القرآن، سلمان السنيدي، ص ٤٦ – ٦٤.

- **تفكر في معاني ما دعا عباده إلى التفكر فيه (تفكر في الدليل العياني)، أي في آياته المشهودة.**

الدرجة الثانية: التأثر وخشوع القلب.

أي ذلَّته وسُكونه لله تعالى، فتسمو الروح وتبكي العين وتتأثَّر الجوارح، وتذلُّ النفس لخالقها وتخضع لربِّها، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾ **[الزمر: ٢٣]، وأعظم طريق للخشوع القلب: نقاء القلب وشدة تعظيم الله جل جلاله.**

الدرجة الثالثة: الاستجابة والخضوع.

وهي غاية إنزال كتاب الله، يقول تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ **[الأنعام: ١٥٥]، فالتدبُّر ليس غاية بذاته، وإنما وسيلة لأمر عظيم يُراد، وهو الاستجابة لأمر الله تعالى واتباع أوامره واجتناب نواهيه، ويجبُ الاستماع إلى القرآن وتلاوته والتأثر الخاشع به إلى "هدى"، إلى سلوك ملتزم بما أنزله الله، أي يتحول إلى منهج حياة العبد.**

والدرجة الرابعة: استخراج الحِكم واستنباط الأحكام.

<u>مكانة هذه المنزلة:</u>

١ – هي من لوازم العلم.

٢ – تدل على كمال القلب ونور البصيرة.

٣ – تثمر في القلب حقائق الإيمان.

<u>وشروط استنباط الأحكام:</u>

- **سلامة المقصد عند بيان الأحكام.**



- معرفة مواطن الاستنباط والنظر.
- إتقان العلوم المؤهلة للاستنباط.
- الاعتماد على الحُجَّة.
- مراعاة مقاصد الشريعة وغاية القرآن.

٦ – ١ علاقة القارئ والسامع بعلم التدبر:

نستفتح بكلمة ابن القيم حين قال: "وَبِالْجُمْلَةِ تُعَرِّفُهُ الرَّبَّ الْمَدْعُوَّ إِلَيْهِ، وَتُعَرِّفُهُ ذَاتَهُ، وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ، وَمَا يُحِبُّهُ وَمَا يُبْغِضُهُ، وَصِرَاطَهُ الْمُوصِلَ إِلَيْهِ، وَمَا لِسَالِكِيهِ بَعْدَ الْوُصُولِ وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَقَوَاطِعَ الطَّرِيقِ وَآفَاتِهَا، وَتُعَرِّفُهُ النَّفْسَ وَصِفَاتِهَا، وَمُفْسِدَاتِ الْأَعْمَالِ وَمُصَحِّحَاتِهَا وَتُعَرِّفُهُ طَرِيقَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ وَأَعْمَالَهُمْ..." [1].

ومن جُمل الإمام ابن القيم تظهر لنا علاقة السامع أو القارئ بالتدبر، فنجد أن أي متدبر وعامل بالقرآن يتحلى بخُلق القرآن ويرث منه صفات، وقد ذكرها ابن القيم وهي: المحبة والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والشكر والصبر، وكذلك يزجر من الصفات المذمومة التي تفسد القلب[2]، لأن كلمات الله جل جلاله سكنت في نفسه وقلبه، فالقرآن هو الطريق الذي يسير عليه، ومنهاج حياته، فالقرآن يجعل المتدبر يميز ويفرق بين فضائل التوحيد ودنس المعاصي، فيجعله مبصرا بكل عمل يقوم به، لأنه عامل بالقرآن بقلبه وجوارحه.

إن قراءة القرآن أو الاستماع إليه كليهما من أفضل العبادات، ولكن لا بد من

---

[1] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، الجزء الأول، ص ٤٥٠.

[2] ينظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة، ابن القيم الجوزية، الجزء الأول، ص ١٨٧.

التدبر عند القراءة والتفكر والتعقل عند سماع الكتاب المجيد؛ لأنه مخاطب بكل آية يقرؤها أو يسمعها، فيستشعر بمعانيه ويتنبه لأسراره، ويتفكّر بتشبيهاته وقصصه، فتُحرك قلبه ببشائره وزواجره، فعندها يخضع لأوامره ويتبعها ويبتعد عن نواهيه.

وجعل ابن القيم الناس على ثلاث حسب تعاملهم مع كتاب الله عندما شرح قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق:٣٦،٣٧] :

١- رَجُلٌ قَلْبُهُ مَيِّتٌ، فَذَلِكَ الَّذِي لَا قَلْبَ لَهُ، فَهَذَا لَيْسَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ذِكْرَى فِي حَقِّهِ.

٢- رَجُلٌ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ مُسْتَعِدٌّ، لَكِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَمِعٍ لِلْآيَاتِ الْمَتْلُوَّةِ الَّتِي يُخْبِرُ بِهَا اللَّهُ عَنِ الْآيَاتِ الْمَشْهُودَةِ إِمَّا لِعَدَمِ وُرُودِهَا، أَوْ لِوُصُولِهَا إِلَيْهِ وَلَكِنَّ قَلْبَهُ مَشْغُولٌ عَنْهَا بِغَيْرِهَا، فَهُوَ غَائِبُ الْقَلْبِ، لَيْسَ حَاضِرًا، فَهَذَا أَيْضًا لَا تَحْصُلُ لَهُ الذِّكْرَى مَعَ اسْتِعْدَادِهِ وَوُجُودِ قَلْبِهِ.

٣- رَجُلٌ حَيُّ الْقَلْبِ مُسْتَعِدٌّ، تُلِيَتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ، فَأَصْغَى بِسَمْعِهِ، وَأَلْقَى السَّمْعَ وَأَحْضَرَ قَلْبَهُ، وَلَمْ يَشْغَلْهُ بِغَيْرِ فَهْمِ مَا يَسْمَعُهُ، فَهُوَ شَاهِدُ الْقَلْبِ، مُلْقٍ السَّمْعَ، فَهَذَا الْقِسْمُ هُوَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِالْآيَاتِ الْمَتْلُوَّةِ وَالْمَشْهُودَةِ.

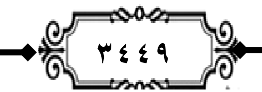
فَالْأَوَّلُ :بِمَنْزِلَةِ الْأَعْمَى الَّذِي لَا يُبْصِرُ.

وَالثَّانِي: بِمَنْزِلَةِ الْبَصِيرِ الطَّامِحِ بِبَصَرِهِ إِلَى غَيْرِ جِهَةِ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ، فَكِلَاهُمَا لَا يَرَاهُ.

وَالثَّالِثُ : بِمَنْزِلَةِ الْبَصِيرِ الَّذِي قَدْ حَدَّقَ إِلَى جِهَةِ الْمَنْظُورِ، وَأَتْبَعَهُ بَصَرَهُ، وَقَابَلَهُ عَلَى تَوَسُّطٍ مِنَ الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَرَاهُ. فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ كَلَامَهُ شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ[١].

---

[١] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم ، الجزء الأول، ص ٤٤١.



الفصل الثاني

- مقدمة كتابه
- منهجية التدبر في الشريج الأول
- منهجية التدبر في الشريج الثاني له
- منهجية عرضه للسور القرآنية تدبريًا وبلاغيًا

٢ – ١ منهج التدبر في كتابه المعنى القرآني (معالم الطريق إلى فقهه في سياق الصورة رؤية منهجية ومقاربة تأويلية).

مقدمة كتابه:

إن المتأمل لكتاب الشيخ يراه قد استهل بسورة الفاتحة [١]، وما ذاك إلا لعظمتها اقتداءً بالقرآن، إذ كل كلمة من كلماتها، وكل آية من آياتها، تشير من قريب أو بعيد، إلى جملة محتويات القرآن الكريم، ومقاصده المتعددة، وموضوعاته المتنوعة، بما فيها من عقائد وعبادات، وشرائع وأخلاق، وما يتصل بحياة الإنسان في مبدئه ومعاده، في دنياه وآخرته على السواء [٢].

ومن الملاحظ أن الشيخ بدأ كتابه بالسورة التي تعد أعظم سورة في القرآن الكريم وهي السبع المثاني التي جمعت مقاصد القرآن الكريم كله، وقيل: إنها اختصرت القرآن الكريم؛ لأنها اشتملت على مقاصده بشكل عام.

قال الشيخ محمود توفيق: "فيستهل الله جل جلاله بيانه في سورة أم الكتاب بتعريف العباد به" [٣]. فتندرج تحتها خمس كليات أخبر بها الشيخ محمود – حفظه الله – في هذه السورة، وهي[٤]:

١– اتصافه بالربوبية، وأنه رب العالمين وكل ما سواه مربوب.

---

[١] فقد أطلق عليها هذا الاسم لاعتبارات متعددة، أولا أنها سورة تفتتح بها كتابة المصحف الكريم، ثانيا أنها أول سورة تفتتح بها قراءة القرآن العظيم، ثالثا أنها أول ما يتلوه المصلي في صلاته فرضا كانت أم نفلا، وهو يرددها كل يوم وليلة سبع عشرة مرة في صلواته المفروضة. التيسير في أحاديث التفسير (١/ ١٩).

[٢] ينظر: التيسير في أحاديث التفسير (١/ ١٩).

[٣] دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين – دراسة منهجية تحليلية، د. محمود توفيق محمد سعد، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٧م، ص٥–٦.

[٤] تمت الاستفادة من: دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين، محمود توفيق، ص٦.

٢- اتصافه بالرحمة، وأنها على نوعين عامة وخاصة:

- العامة: التي تشمل جميع المخلوقات.

- الخاصة: وهي خاصة بالمؤمنين، ولهذا قال الله عز وجل: الرحمن الرحيم.

٣- خصوصية ملكه ليوم الدين، ليتفرد بذلك عمن يملك في الدنيا، ولهذا خصه بالملك مع أنه يملك كل شيء ليظهر ملكه جليًا واضحًا.

ومما يدل على فضلها تعدد مسمياتها- وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى-، وأشهرها ثلاثة، وهي:

١- الفاتحة: جاء من حديث عبادة بن الصامت أنه قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» [١].

٢- وأم الكتاب: «الحمد لله أم القرآن» [٢].

٣- السبع المثاني: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي}، وقوله الرسول ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، وَإِنَّهَا لَلسَّبْعُ مِنَ الْمَثَانِي والقرآن العظيم الذي أعطيت» [٣] [٤].

---

[١] صحيح البخاري، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت برقم (٧٥٦)، (١/ ١٥١).

[٢] أخرجه أحمد، برقم (٩٧٩٠)، (١٥/ ٤٩١)، قال شعيب الأرنؤوط: في تحقيق المسند: إسناده صحيح.

[٣] أخرجه أحمد، برقم (٨٦٨٢)، (ش١٤/ ٣١٠)، قال شعيب الأرنؤوط: في تحقيق المسند: إسناده صحيح.

[٤] مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م، الجزء الأول، ص ٤٦٢.

فالمتدبر لهذه السورة العظيمة يجد فيها خلاصة ما في القرآن الكريم من صفات الله عز وجل وأحكامه.

ومن أسرارها جعلها فاتحة كتابه؛ ليحمد الله ويبارك له بعلمه وبيانه وكتابه الذي قام على معجزة نبيه ﷺ القرآن الكريم ومعانيه.

وذكر بعد ذلك بداية سورة الكهف، وكأنه يؤكد حمده لله عز وجل على هذا الوحي الذي أنزله على نبيه ليكون نذيرا للكفار وبشيرًا للمؤمنين، ويبين أن منهاج هذه الحياة هو القرآن.

ثم تلاها بالصلاة على النبي ﷺ بالصيغة الإبراهيمية وهي أفضل من الصلاة العادية عليه ﷺ، كما أن فضلها وثوابها أكبر عند الله عز وجل، وبعد ذلك دعا الله بدعاء النبي ﷺ، وهو كنز للناس. عن شداد بن أوس قال: إن النبي ﷺ كان يقول في صلاته: « اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب» [١] [٢].

وكما أن الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – بيّن أن القرآن هو الهدى الذي يستقيم به العبد، وأن لكل أمة تتخذ لنفسها منهاجا تقيم شؤون حياتها عليه، وأن

---

[١] أخرجه أحمد، برقم (١٧١١٣)، (٢٨/ ٣٣٦)، قال شعيب الأرنؤوط: في تحقيق المسند: إسناده صحيح.

[٢] جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَوائد، محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي، تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع، مكتبة ابن كثير، الكويت – دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، الجزء الرابع، ص٦١.



الأمة الإسلامية أكرمها الله عز وجل وميّزها بهذا المنهاج، لكي تستقيم حركة حياة العبد، ويقول الشيخ في كتابه (سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة): "إن القرآن الكريم في حقيقته منهج شامل للحياة كلها يقيم حركة الإنسان فيها على نحو ما يريد خالقه سبحانه وتعالى؛ لينال شرف عبوديته الاختيارية لله تعالى جَدُّهُ مثلما نال شرف عبوديته الاضطرارية..."[١]، فالقرآن الكريم هو المنهاج الأسمى والأجل؛ لأنه محفوظ لا يدخله تحريف ولا تغيير، وأن جل جلاله تكفّل بحفظه ليكون الدليل الأكمل والأفضل؛ لأنه ليس كمثله شيء فهو المعجزة الخالدة الدائمة، "فمنزل القرآن عز وجل هو حافظه من التحريف والتغيير، فكانت عصمته من التحريف آيةً بينةً قاهرةً على أن القرآن من عند الله ذي الجلال والإكرام" [٢].

وفي حديث الشيخ محمود – حفظه الله – عن القرآن ذكر (التدبر) –الذي هو مناط البحث–، أن القرآن حثهم على (التدبر) وهو مفتاح التلقي، وأن التدبر له أدواته وآلاته، ولكنها تختلف على قدر ما يملك المرء منها؛ وذلك باختلاف الغايات المنشودة [٣].

فقد جعل كتابه قائما على (معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة)، أي خصصه في سياق السورة، مع أن السورة لم تكن أدنى مراحل الإعجاز، ولكن كانت أدنى مراحل التحدي، وتطرق إلى قضية الإعجاز وبيّن أن السورة هي أدنى مراحل التحدي، وأنها أعلى مراحل الإعجاز، وعرض أقوال العلماء في ذلك، وأبان رؤيته في هذه القضية، وقال: "وما أذهب إليه أن كل كلمة في سياقها معجزة، والله – سبحانه وبحمده – لم يتحد بكل قدر معجز من القرآن كـ (آية الكرسي) أو آية

---

[١] سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة، محمود توفيق، ص١٣.

[٢] المعنى القرآني، محمود توفيق، ص٥.

[٣] بتصرف من: المعنى القرآني، محمود توفيق، ص ٦.

(المداينة) ونحو ذلك، بل تحدى بالسورة في هيئتها، فآية (المداينة) معجزة إلا أن الله جل جلاله لم يتحدَّ بها، بينما تحدى بسورة (الكوثر) أو (العصر) أو (قل هو الله أحد) ونحو ذلك" [1]، وأوضح قوله: أن إحسان فقه المعنى القرآني لا يأتي إلا من خلال الجمع بين العقل البلاغي والعقل الأصولي، وهما:

- النظم بمفهومه عند عبد القاهر الجرجاني.
- النظم بمفهومه عند بعض سابقيه (هيئة السورة، أي: سياقها).

فهو دمج بين بلاغة القرآن ونظمه مع ما يسمى بعلم التناسب، فيقول: "بهذا تتبيّن لك الأهمية البالغة للقول فيما سُمي بـ (التناسب) في تحقيق نظم السورة (هيئتها)، المتولدة من علاقات المعاني ببعضها على تنوع أقدار هذه المعاني في السورة من المعاني الكلية والجزئية"[2].

فتجد من كلماته السابقة أن الشيخ تدبر وتبصر وتفكر في القرآن الكريم وسوره وآياته وعلومه فهو جامع العقل الأصولي؛ والبلاغي بقراءته التدبرية التي هي السبيل الأعظم إلى حسن استنباط معاني القرآن من جهة علم الأصول، ومن جهة أخرى علم البلاغة، فهو يتذوق تلك المعاني التشريعية؛ ويستخرج مكنونها من سياق السورة.

هدف الكتاب:

وضع الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – هذا الكتاب لهدف معين، وهو أراد أن يقدم رؤية منهجية تدبرية تعين القارئ على اجتناء المعاني القرآنية في سياق السورة، أي: التدبر في معاني الآيات، والتبصر، والتفكر في سياقها، والالتفات إلى

---

(1) السابق، ص ٩.

(2) المعنى القرآني، ص١٠.



مقاصدها وموقعها؛ لتكون زادًا إلى حسن فهم كتاب الله [١]. وهذا يدل على أن الشيخ محمود توفيق يعيد المنهج السديد في التعامل مع القرآن الكريم ودراسته لمنهج علماء البلاغة القدماء، مثل: عبد القاهر الجرجاني والسكاكي وغيرهما، في خدمة كتاب الله وفهمه واستخراج أسراره، فعمله إحيائي لمناهج علماء البلاغة .

منهج الكتاب:

ذكر الشيخ محمود – حفظه الله – المنهج الذي سار عليه وهو المنهج التجريبي؛ لأنه رؤيته المنهجية قائمة على التعليم لا الإلزام، فأراد منهاجًا يقيمك على مقرُبةٍ لتبصر، ولا يقيمك فيه فتؤسر، يغريك تجريبًا، ولا يقسرك تطبيقًا.

فمنهجه قائم على تعليم طالب العلم بكتاب الله –عز وجل– بحسن التدبر، وأنه دعوة إلى صفاء القصد وإتقان العمل تلاوةً، وتدبرًا، وتأدبًا، حتى لا يرضى العبد بحسنة واحدة، بل يسعى جاهدًا إلى أن يكون نصيبه من الحسنات مضاعفا [٢].

الضابط الكلي لمنهاج القول في قضايا الكتاب ومسائله وأدوات مدارسته:

نبه الشيخ محمود – حفظه الله – على الحرص والحذر في مدارسة كتاب الله عز وجل، لأن كلام العزيز صفة من صفاته، فالأمر يقضي بأن لا تكون مدارسة كتابه كمثلها مدارسة أي كلام، فكلام الله معجز في فصاحته وبلاغته وهو وحيٌ أنزله العزيز على نبيه الشريف ﷺ، وتحدى قومًا برعوا وبلغوا من الفصاحة والبلاغة مبلغًا عاليًا، ولكنهم عجزوا أمام كلمات الله سبحانه وتعالى، ومن خلال ذلك قام كتابه على بيان بلاغة القرآن و أن مدارسة القول الإلهي يختلف عن القول البشري سواء كان شعرًا أم نثرًا؛ لأن مدارسة كلام الله تتطلب أمورًا تتعلق بعوامل حسن التلقي عنه.

---

(١) بتصرف من: المعنى القرآني، ص ١٠

(٢)السابق، ص ١٠ – ١٤



وختم مقدمته بدعاء الله والصلاة على نبيه ﷺ.

٢- ٢ منهجية التدبر في الشريج الأول (في المصطلح وما إليه)

التوطئة: في شأن المقصد الربّاني من إعجاز البيان القرآني.

بدأ الشريج الأول بالحديث عن إعجاز البيان القرآني، وأنه نزل بلسان العرب ومفرداتهم اللغوية، فإعجاز الكتاب الكريم ليس في مفرداته وألفاظه، وإنما في نظمه ووجه تركيبه، ويقول عبد القاهر الجرجاني: "إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، لم توضع لتُعْرَف معانيها في أنفُسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينهما وهذا علم شريف، وأصل عظيم" [(١)].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧ – ٢٨]، "إن مناط الإعجاز هو النظم وليس الإتيان بمفردات غير عربية لا يعرفها العرب؛ لأن ذلك معيق عن حسن التلقي" [(٢)]، فهو نزل بلسانهم ولكنهم أنكروا ولم يؤمنوا، مع أنهم يفقهون أن هذا الكتاب العظيم ليس من قول البشر لا اعوجاج به ولا انحراف؛ لأنهم يبلغون من الفصاحة والبلاغة مبلغًا عاليًا ومع ذلك عجزوا أمام كلماته سبحانه وتعالى.

إن المتدبر في كلام الله سبحانه وتعالى يدرك حقيقة إعجازه وبيانه، فهو يتنبه لمعانيه وأسراره ومواطنه البلاغية، لذلك تجد أن كل مكّون من مكونات البلاغة القرآنية معنى يدركه ويتذوقه ويضع يده على أسراره ويستخرجها ويبيّنها، فهو أراد أن

---

(١) دلائل الإعجاز، أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – القاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢ م، ص ٥٣٩.

(٢) بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٢٢.



يقيم منهج التدبر بمنظور بلاغي، فتراه يقول: "على كل عقل يتبصر في هذا البيان عامة، وفريضة عين على العقل البلاغي العربي خاصة؛ إنه عقل ليس كمثله عقل بلاغي آخر في هذه الدنيا؛ إنه عقل ما نشأ إلا لتحقيق حُسْنِ الفَهمِ عن الله – تعالى – وعن سيدنا رسول الله ﷺ"[١].

وقد أشار الشيخ محمود – حفظه الله – إلى مقاصد إعجاز بلاغة القرآن، وقسمها إلى أمرين، وهما [٢]:

١– أن يكون عطاؤه معانيَ تتسم بثلاثة أمور:

- أن تبين عما يريد الله سبحانه وتعالى.
- أن تجدد مناهج الفهم والإفهام من خلال امتلاك مهارات التلقي وأدواته.
- ألا يشبع العلماء من اكتشاف أسراره وإن عكفوا عليه عمرا متدبرين فيه ومتبصرين.

٢– أن يكون عطاؤه معانيَ تثقّف النفس.

وقّسم الإعجاز البياني إلى ضربين[٣]:

الأول: إعجاز بلاغة الإقناع والمحاجّة بالتي هي أحسن طريقا وأفعل أثرًا.

والثاني: إعجاز بلاغةٍ تناسب المعاني وتآخيها وتناديها وتناغيها.

فهذان الإعجازان حاضران حضورا جليا حتى لو تُرجمت معاني القرآني إلى غير العربية، فليس مرد الإعجاز فيه إلى تصوير المعاني، بل إلى منهج الإقناع والمحاجة

---

[١] المعنى القرآني، ص ٢٧.

[٢] ينظر: المعنى القرآني، ص ٢٨ – ٢٩.

[٣] المعنى القرآني، ص ٢٩.



الحقة، وإلى تناسب المعاني وتصاعدها [١].

٢ – ٣ المعقد الأول: التدبر مفهومًا ومَغزَى

إن الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – لم يطل في هذا المعقد، فهو قام بتأصيل علم التدبر حتى تكون الصورة واضحة للمتلقي. سأذكر الأفكار المهمة التي طرحها الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – لأننا سبق وتحدثنا عن علم التدبر في الفصل الأول.

ذكر الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – أن التدبر فعل من أفعال التلقي عن الله سبحانه وتعالى، وقسّمها إلى ستة أفعال، وهي[٢]:

١- التعقّل: وهو استيعاب البيان وأصول معانيه في فؤاده.

٢- التفكّر: وهو تفكيك البيان وتحليله ويكون العقل منتج.

٣- التبصر: وهو إدراك بيانه ودقائقه ورقائقه.

٤- الاستنباط: وهو استخراج الدّقائق واللطائف من معدنها.

٥- الاستنتاج: وهو استخراج ما ليس بموجود مما هو موجود.

٦- الاستطعام: وهو الأثر الذي يبقى في سلوك العبد بعد تلك الأفعال الخمسة.

مفهوم التدبر عند الشيخ محمود توفيق – حفظه الله ورعاه –:

إن التدبر هو منهج لكل فعل من أفعال التلقي، فما من فعل من أفعاله إلا وهو مفتقر إلى هذه الكيفية: (التدبر) أي السعي إلى بلوغ الأدبار، فصاحب القرآن في

---

[١] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٢٩ – ٣٠.

[٢] المعنى القرآني، ٣٨.



سفرٍ دائمٍ طلبًا للمزيد من المعنى القرآني [١].

٣ – ٣ المعقد الثاني: مصطلح المعنى القرآني (مفهومه وأنواعه وخصائصه ومستوياته)

لقد أطال الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – في هذا المعقد، كما أنه أكبر المعاقد في هذا الشريج، وغاية هذا المعقد هو تمكين المعنى القرآني في أفئدتهم وأنفسهم، واتباع معاني الهدى؛ لذلك سعى الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – لبيان مفهومه وأنواعه وخصائصه ومستوياته (أي: المعنى القرآني).

تعريف المعنى القرآني عند الشيخ محمود توفيق – حفظه الله –:

"هو كلّ ما أبان الله تعالى في كتابه العليّ الحكيم المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، بلسان عربي مبين، ويدركه ويستنبطه الأعيان من أهل العلم من النصّ القرآني في سياقه القريب والمديد، وفقًا لأصول الفهم والاستنباط وضوابطهما، متجليًا فيه جلال الألوهية، وجمال الربوبية، هاديًا مَنْ آمن به إلى الارتقاء إلى مقام العبودية والصفاء لله ربّ العالمين"[٢].

وذكر أن للمعنى القرآني شروطًا وأركانًا متضمنة في تعريفه، حيث إن الأركان تتمثل في الجزء الأول من التعريف، وهو: "كلّ ما أبان الله تعالى في كتابه العليّ الحكيم المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه، بلسان عربي مبين، ويدركه ويستنبطه الأعيان من أهل العلم من النصّ القرآني في سياقه القريب والمديد، وفقًا لأصول الفهم والاستنباط وضوابطهما"، والجزء الآخر منه هو شروطه، حيث إن شروطه تتضمن أمرين:

---

[١] ينظر: المعنى القرآني، ص ٤٠ – ٤١.

[٢] المعنى القرآني، ص ٤٦.



١- أمرا يرجع إلى ذات المعنى، وهو يتمثل في قوله: (متجليًا فيه جلال الألوهية، وجمال الربوبية).

٢- أمرا يرجع إلى وظيفته، وهو يتمثل في قوله: (هاديًا مَنْ آمن به إلى الارتقاء إلى مقام العبودية والصفاء لله ربّ العالمين).

وقد خص طلبة العقل البلاغي بإدراك ذلك المعنى – أي المعنى القرآني –، فلا يدركه اللغوي (النحوي)، فالعقل البلاغي يدرك ذلك المعنى ويتدبر بيانه ويستخرج أسراره؛ لأنه يقف على فحوى المعنى وليس للفظه [١].

- **أنماط المعنى:**

جعل أنماط المعنى القرآني في ثلاثة أنماط وذلك من خلال تدبره لكتاب الله عزو جل، وهي[٢]:

النمط الأول: المعنى المقصود.

وهو ذلك المعنى الذي يرجع إلى الله عز وجل أو رسوله ﷺ، فمراد الله عز وجل وحكمته هي أن يحمي المتدبّرين كتابه، وأن يفهموا غير مراده ما داموا أهلًا للفهم عنه سبحانه وتعالى.

النمط الثاني: المعنى المدلول.

وهو ذلك المعنى الذي تدل عليه الصورة التراكيب في سياقها، والشأن في المعنى المدلول في بيان الوحي قرآنا وسنة، وأنه مطابق للمعنى المقصود.

النمط الثالث: المعنى الإدراكي.

---

(١) بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٤٨.

(٢) بتصرف من : المعنى القرآني، ص ٤٨ – ٥١.



وهو المعنى الذي يقع في قلب المتلقي البيان من تبصره فيه وفي سياقه، وهذا المعنى يختلف باختلاف المتلقّين.

- **خصائص المعنى القرآني[١]:**

من وجوه إعجاز القرآن الكريم أنه لا يحاط بمعانيه، ولا يحاط بخصائص معنى واحد من تلك المعاني، ولكن حاول الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – في أن يذكر لنا بعضًا من خصائصه، وتوصل إلى سبعة خصائص، وهي:

الخصيصة الأولى: المعنى القرآني إلهي المصدر آدمي الغاية (هذه الخاصية هي فسطاط الخصائص كلها).

وهذا المعنى لا يمكن لغير الله عز وجل أن يقوله؛ لأن المعنى الإلهي معجز في نفسه. وآدمية الغاية أراد بها أن مقاصد هذه المعاني الإلهية إنما جاءت لصالح بني آدم، وأن هذه الغاية ظاهرة في أول موضع ذكر فيه أمر خلق آدم – عليه الصلاة والسلام – أبان عن رسالته ومحل تحقيقها، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ **[البقرة: ٣٠].**

تبصر الشيخ في هذه الآية، واستخرج مكنونها، فقال: " لم يردْ هذا النبأ بهذا النظم في غير هذا الموضع، وهو نبأ يعين حال هذا الكائن الخليفة، ومحل رسالته، ولذا لم يقل: إني جاعل من الأرض خليفة، بل (في الأرض) وفي الإنباء بأنه (خليفة) لعل فيه إشارة إلى أنه سيخلف آخرين كانوا فيها من قبل على وجه من وجوه النظر،

[١] ينظر: المعنى القرآني، ص ٥١ – ٦٩.



فهو خليفة: فعيلة بمعنى فاعل"[1].

وأشار أن سؤال الملائكة هنا ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾**،كان سؤال استعلام واكتشاف لا اعتراض، وما يؤكد قولهم:** ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾**، أي: ونحن نسأل هذا السؤال مستعلمين مستكشفين لا معترضين حال كوننا نسبح بحمدك ونقدس لك، فـ (الواو) في قوله (ونحن) حالية[2].**

وأشار أيضًا أن تسمية نبي الله عليه الصلاة والسلام (آدم) إعلاما للملائكة بأنه ليس كمثل الذين يخلفهم، وجاء بمعنى اسم (آدم) وهو من الأدْم والإصلاح، وأن هذا النبي عليه السلام مصلح وليس مفسدًا في الأرض، وكما أن الشيخ محمود – حفظه الله – وقف على كلمة (خليفة)، وأشار إلى أنها تحمل معنيين، وهما[3]:

- **أنه خليفة الله سبحانه وتعالى في إنفاذ أحكام شرعه.**
- **معنى يخلف بعضه بعضا فهو مخلوق متناسل ذو ذرية يخلف بعضها بعضا.**

فالمتأمل في تحليله السابق لأدرك مدى تبصر الشيخ وتدبره في آيات الله حتى استخرج لنا أسراره البلاغية في اختيار ألفاظه وتركيبه سبحانه وتعالى، وبيان المواطن البلاغية التي خرجت من معناها الأصلي إلى معنى بلاغي آخر.

الخصيصة الثانية: حليته جلال الألوهية وجمال الربوبية.

وهذه الخاصية تجدها في كل معنى من معاني القرآن، واستشهد الشيخ محمود – حفظه الله – بعدة آيات، ومنها: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ

---

(1) المعنى القرآني، ص ٥٣.

(2) ينظر: المعنى القرآني، ص ٥٣.

(3) السابق.



تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ **[الزمر: ٢٣]، وجد في هذه الآية خصيصة جلال الألوهية وجمال الربوبية، حيث أدرك أن جلال الألوهية تكمن في قوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، اقشعرار الجلود هي من فعل خشية القلب، وأن البيان اصطفى وانتقى اسم الربوبية؛ لأن هناك معنى خفي لا يظهر إلا للمتبصر والمتدبر بكلامه، وهو دليل على أنهم يخشونه بالإحسان والرعاية، فكيف بخشيتهم له متجليا بالعظمة والمهابة.**

وجمال الربوبية يكمن في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾، **استشعر الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – أن جمال الشعور يتولد من جلال الخشية، فهو لم يكتفِ بالإشارة عنهما فقط، بل يمسك بيد القارئ ويجعله يتبصر ويتدبر في كلامه سبحانه وتعالى، فيقول: "تبصر قوله:** ﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ **لم يقل (من ذكر الله) كما قال** ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ﴾ **" وذلك هو عمل العقل البلاغي.**

وقد نبه الشيخ محمود – حفظه الله – إلى أن جميع آيات القرآن يكمن بها جلال الألوهية وجمال الربوبية ولكن لا تظهر إلا للقارئ المتبصر المتفكر المتدبر في آيات الله، وأشار أيضا إلى أن هذه الخصيصة لا تظهر في كل تأويل، وإنما تظهر في تأويل المعنى القرآني. وكأن الشيخ هنا يؤكد على الجانب النفسي للقرآن وتأثيره في النفوس؛ لأنه هو الذي يفتح الباب للتدبر والاهتداء إلى المعاني المضمرة في بيانه [١].

---

[١] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٥٥ – ٥٧.



الخصيصة الثالثة: التّكاثر في أفئدة المتقين.

جعل للمعنى القرآني وجودينِ كُليين، وهما:

١- وجود داخل النص العلي الحكيم.

٢- وجود في داخل المتلقي الرشيد.

حيث إن الوجود الثاني هو وليد الوجود الأول، وكما أنه يمنح فؤاد المتلقي طاقات ومهارات في كل مرة يستطعم بها آيات الله، وتظل الدهشة حاضرة وكأنه يقرؤها أول مرة؛ وبذلك يتجدد العلم ويتكاثر، ولا يتناهى في تحقيق ذلك العلم، فتجد الشيخ محمود – حفظه الله – يستشهد بآيات عديدة، ليتمكن من توصيل مبتغاه للمتلقي [(١)]، ومن استشهاده:

قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ **[يونس: ٢٦]**

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ **[العنكبوت: ٦٩].**

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ **[الرحمن: ٦٠]**

ويقول إن: "هذه الآيات من أحسن تدبرها أدرك أن عطاء الله سبحانه وتعالى مترتب على موقفك من نفسك، فإن أحسنت رعايتها كان لك من خالقها جل جلاله إحسانًا على قدره تعالى لا على قدرك..."[(٢)].

الخصيصة الرابعة: مواءمته لأحوال المؤمنين به على تنوع مقاماتهم الإيمانية.

---

(١) السابق، ص ٥٨ – ٦١.

(٢) المعنى القرآني، ص ٦٢.



وذكر في هذه الخصيصة عدة استشهادات منها ما كان بالأحاديث القدسية والنبوية ومنها بالقرآن الكريم، سأذكر ما استشهد به من القرآن:

قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]

فيقول: "فالمبارك ما تكاثر خيره وثبت وتنوع، فكان فيه لكل مستطعم ما فيه يرغب وما إليه يشوف"، فهو يرى أن هناك درجات في التدبر منهم من يتدبر القرآن معنى، ومنهم من يتدبر الآية نفسها ألف معنى كلّ على قدر وعائه (أي: قلبه) [١].

الخصيصة الخامسة: امتزاج معاني التّثقيف بمعاني التّكليف.

فهو يرى أن لكل معنى في القرآن معنى تثقيفيًا إلا في طياته ما يمكن أن يستنبط منه معنى تكليفيًا، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، أي: أدرك المعنى التكليفي هو الصلاة على النبي ﷺ، فهو نداء محفز لحسن الامتثال وحسن استطعام الطاعة التي أمرها على عباده، فتنبه إلى المعنى التثقيفي ألا وهو التودد والتذكر، فما من معنى من معاني التكليف إلا وفي سياقه من التثقيف القلبي فيه، فالشيخ محمود توفيق – حفظه الله – استشعر بهذه المعاني التثقيفية التي تنتج الإخلاص والإتقان والاستطعام بالطاعة ؛ وذلك من شدة تدبره بالكتاب الله عز وجل [٢].

الخصيصة السادسة: أنه معنى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يتفاوت في درجة بلاغته[٣].

---

[١] بتصرف من المعنى القرآني، ص ٦٤.

[٢] السابق، ص ٦٥.

[٣] المعنى القرآني، ص ٦٥.



الخصيصة السابعة: حسن تلقيه من حسن العلاقة بمنزله سبحانه وتعالى [١].

وهذه الخصائص الكلية للمعنى القرآني التي استنبطها الشيخ محمود – حفظه الله – من أصول الاستنباط المنضبط بعواصم من قواصم الفهم [٢].

وفي آخر حديثه عن الخصائص ذكر أنه استولد هذه الخصائص من خصائص أسلوب القرآن للشيخ محمد دراز – رحمه الله –، وهي [٣]:

جمع بين القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى.	جمع بين إقناع العقل وإمتاع العاطفة.
جمع بين خطاب العامة وخطاب الخاصة.	جمع بين البيان والإجمال.

وبيّن أن خصائصه تختلف عن خصائص الشيخ محمد دراز وأن هذا الاختلاف جعل علاقتهما تكاملية .

- مستويات المعنى القرآني:

أن العبد المتدبر آيات الله سبحانه وتعالى في نسق تلاوته يترقى ويتصاعد فؤاده في درجات المعنى القرآني، لذلك أعطى التدبر أهمية عظيمة لملاحظة نمو المعنى وتصاعده، وجعل مستويات المعنى القرآني مستويين كُليين:

المستوى الكُلي الأول:

وهو المعنى الجمهوري الذي يتلقاه كل من نطق العربية ويعقل عنها، فهذا المعنى

---

(١) السابق، ص ٦٨.

(٢) ينظر: المعنى القرآني، ص ٧٠.

(٣) المعنى القرآني، ص ٧٠.



الجمهوري ظاهر لا يحتاج المرء إلى مهارة الاستنباط [١].

المستوى الكُلي الآخر:

ويسميه الشيخ محمود – حفظه الله – بالمعنى الإحساني، وأدخل فيه ما يسمى بباطن البيان؛ لأن فيه معنى مكنونا لا يتوصل إليه إلا بطول تدبر وتبصر، فهو يحتاج إلى مهارة الاستنباط [٢].

<u>وذكر سبب تسميته (المعاني الإحسانية) لأمرين رئيسين، وهما:</u>

١- الإشارة إلى ما به يمكنك تحصيل هذا المستوى من المعاني، وهو إحسان الاستعداد للتلقي فقهًا وفهمًا، وذلك يتم من خلال مهارات التلقي وأدواته الحسية والمعنوية.

٢- الإشارة إلى أن هذا الضرب من المعنى كلما أحسنت طلبه أحسن إليك في عطائه.

وهذا هو المعنى الإحساني الذي تدركه بالتدبر والتأمل، "فالتدبر ليس الغاية العظمى في ذاته، بل هو خطوة إلى غاية أبعد وأسمى وأجدى (وهي غاية تحصيل المعنى القرآني من البيان)"[٣].

وأشار أن المعاني الإحسانية ما هي إلا معانٍ متولدةٌ من المعاني الجمهورية، وبينهما وسائط متعددة بعضها ظاهر وبعضها خفي.

- **من حديث القرآن عن القرآن:**

---

[١] ينظر: المعنى القرآني، ص ٧٢ – ٧٣.

[٢] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٧٤.

[٣] ينظر: المعنى القرآني، ص ٧٧.

بيّن الشيخ محمود – حفظه الله – أن حاجة العبد إلى القرآن أكثر ضرورة من حاجة العبد إلى الماء، بينما الماء فيه إحياء الأجساد والقرآن فيه إحياء القلوب.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ **[الزمر: ٢٣]، فقد أقام على هذه الآية خمسة محاور، وهي:**

المحور الأول:

يتمثل في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾**، أول ما وقف عليه الشيخ محمود – حفظه الله– هو لفظ الجلالة (الله)، وهو الاسم الجامع لكلّ ما في أسمائه الحسنى التي علمها أحد من العالمين أو استأثر الله بعلمها، فشأن القلوب من سماع اسم الجلالة مستفتحًا به انصرفت عن كل ما يشغلها، تهيُّؤاً لتلقيه ولتحقق كمال استقبال ذلك اسم الجلالة وما تعلق به [1].**

ثم ذكر أن في بناء الجملة: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ **على التقديم تقرير هذا النبأ العظيم في القلوب؛ لتُقبل على هذا الحديث إقبالًا مستحضرًا ثلاثة أشياء كلية، وهي [2]:**

- **مستحضرةً جلال هذا الحديث وجماله.**
- **مستحضرةً أن هذا المنزّل لا يمكن أن يكون كمثله حديث.**
- **مستحضرةً أن الذي نزّله وحيًا على رسوله ﷺ.**

---

[1] ينظر: المعنى القرآني، ص ٨١ – ٨٢.

[2] المعنى القرآني، ص ٨٤ – ٨٥.



ثم وقف على قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾،وبيّن أن هذا الخبر جاء في صيغة الجملة الفعلية الماضوية الحاملة اليقين بالحدث على الصفة وهي (نزّل)، وفي هذا التنزيل معنى علوّ المصدر ومعنى التيسير، وفي قوله تعالى: ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ إشعارًا أن ما يملأ القلب بجلال من أُنزلَ عليه، ثم بيّن أن إضافة الصفة (أحسن) إلى الموصوف (الحديث) بها عدول، أي: لفتٌ إلى قيمة الصفة وأنها بالغة الكمال والتّمكن في الموصوف، وتمكّنه فيها، وكما أنها تدل على شمول الأحسنية، فليس فوق حسنه حسن في كتاب من عند غير الله سبحانه وتعالى، وكما أنه نبه إلى أن كلمة (أحسن) هنا لا للمفاضلة؛ لأن المفاضلة تقتضي أن يكون في المقابل حسنٌ دون هذا الحسن، فهو أعرب بقوله عن هذا الحديث بأنه (أحسن) هو الله عز وجل، وما أعرب عنه بذلك لا بد أن يكون ليس من فوقه حسنٌ لأنه العليم الخبير، أن الشيخ محمود – حفظه الله – أراد أن يذكّر المتلقي أن ألفاظه أفصح الألفاظ وأحسنها، وأن معانيه أجل المعاني؛ لأنه أحسن الحديث في لفظه ومعناه.

ومعالم هذا الحسن وملامحه هو طلبة العقل البلاغي وما يتوافد على القلب الفهيم من إحسان التبصر والتدبر فيها[1].

المحور الثاني:

يتمثل في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾.

فقد بيّن أن الله سبحانه وتعالى أعرب عنه بقوله (كتابًا) بدلًا من قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾، حيث إنه ينبه المتلقي على فاتحة سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ [البقرة: ٢]، وكأنه يشير بقوله: ﴿أَحْسَنَ﴾ من بحر قوله: ﴿الْكِتَابُ﴾،

---

[1] ينظر: المعنى القرآني، ص ٨٦ – ٩١.



وبيّن أن لفظة (الكتاب) واحدة من أسماء ما أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم ﷺ، وأنها أسماء متنوعة غير متطابقة في مدلولها، وإن كان المسمى بها واحدًا، ثم أشار أن كلمة (الكتاب) جاءت معربِة عن جمعه معاني الهدى المتآخية الخارجة من بحر قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فهو يثير عقل المتلقي بربط الآيات، ويجعله يستشعر بها، وكأنه يقرأها أول مرة ويظل المتلقي في دهشة مستمرة [١].

ثم بيّن أن معنى كلمة (الكتاب) تختلف عن معنى كلمة (القرآن)، سأوضحها في الجدول الآتي [٢]:

الكتاب	القرآن
منظور فيه إلى تجانس المجموع.	منظور فيه إلى الجمع على سبيل الإحاطة، فهو (كتاب) و(قرآن).

وقد أكد الشيخ محمود – حفظه الله – أن كلمة (الكتاب) جاءت بعدها كلمة (متشابها) لتؤكد ما ذكره عن أن (الكتب) جمع النظائر إلى بعضها بوصلة من جنسها لا من غيرها، وهذا هو جوهر معنى قوله: (متشابها)، فهذا يدل على أهمية أن نستجمع النظائر من المعاني وصورها من القرآن، والنظر إلى الغرض العام لكل سياق، وإلى استعمال بعضها مع بعض، وإلى مواقعها بعضها من بعض، وبهذا يبيّن أن الغرض والمعنى الكلي للسياق هو الذي يستدعي هذا المعنى في هذه السورة،

[١] بتصرف: من المعنى القرآني، ص ٩١.
[٢] المعنى القرآني، ص ٩٢.



وهذا يدل على أن لكل سورة في القرآن ما يميزها عن غيرها[١].

وفي قوله: (متشابها) فهو متشابها في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف، بوجه من الوجوه. حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا المراد بالتشابه في هذا الموضع[٢].

وفي قوله: ﴿مَثَانِيَ﴾ أي: يثنّي فيه القصص والأحكام وذكر صفات المؤمنين والكافرين، أن قلب العبد يحتاج إلى تكرار تلك المعاني ولكن في كل مرة تَرِد تتعجب من نظم آياته، وكيف أن ذلك المعنى تكرر وهو في أفضل صورة وفي أحسن السياق، وهذا ما أطلق عليه الشيخ محمود – حفظه الله – بالتصريف البياني للمعنى القرآني.

المحور الثالث:

يتمثل في قوله تعالى: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ **ذكر الشيخ محمود – حفظه الله – أن هذا المحور يكشف لك البعد التأثيري لبلاغة القرآن الموصوف بالنعوت السابقة، وهي: (أنه أحسن الحديث، وكونه متشابها، وكونه مثاني، وكونه منزّل من الله سبحانه وتعالى وأنه أُنزَل على نبيه الشريف ﷺ) [٣].**

إن الشيخ محمود – حفظه الله – كشف لنا سر هذه الجملة: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، فقد بيّن سر إسناد الخشية إلى (ربهم)، ولم يقل: (يخشون الله)، وكأنه يجعل المتلقي يتأمل الفرق بين (الله، وربهم)، فتجد أن كلمة (الله) بها جبروت وعزة، وتدل على أن

---

[١] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٩٢.

[٢] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص ٧٢٢.

[٣] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٩٥.



الخشية هنا بها رهبة محضة، بينما تنظر إلى (يخشون ربهم)، تشعر بأن الخشية هنا خشية مبعثها رهبة وحب، لذلك جاء لفظ الجلالة متصل بضمير الاتصال؛ لأنهم يخشون الله من محبة وخوف وعبادة، ولأن كلمات ربهم تلامس قلوبهم، وكما أن الضمير المتصل جاء أيضًا متناسبا مع سياق الآية، فانظر كيف أحسن الله اختيارها!، وكما أن الشيخ محمود – حفظه الله – جاء بآيات أخرى تدل على أن لفظ الجلالة (الرّب) كثر في القرآن مع خشية الرهبة والمحبة، ومنهم:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ **[الرعد: ٢١].**

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ **[الملك: ١٢] [(١)].**

ثم وقف الشيخ محمود – حفظه الله – على كلمة: ﴿تَقْشَعِرُّ﴾، ونبه أن هذه الكلمة من فرائد القرآن، فهي لم ترِد في غير هذا الموضع، مما يدل على أن اقشعرار الجلود حدث يكون من الأفئدة، ولا يكون إلا إذا بلغت الخشية في القلب مبلغًا جليًّا.

وقف على هذه الآية: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ **، متدبرا في نظمها حتى أخرج لنا أسرارها البلاغية، يقول: "اقشعرار الجلود لازمٌ عن وجل القلوب الذي تلزمه قشعريرة في الجلد غالبًا، فكأن ذكره كناية عن ملزومه: (قشعريرة القلوب)، ولم يسلك سبيل الكناية في باب (اللين)، بل نص على اللازم والملزوم معًا، فقال:** ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ **؛ لأن التصريح أسبق حضورًا، وأنجع في أفئدة كثيرٍ من التلويح، فالتلويح طعام النّبلاء،**

---

(١) تمت الاستفادة من: المعنى القرآني، ص ٩٦ – ٩٧.



بينَ الدهماء أرغب في التصريح..."[١]، لذلك بيّن أن ابتداء الآية عن تأثير أحسن الحديث بآيات الخشية ومعالمها مناسب؛ لأنه أدخل الخشية واستقبال جلال الإلهية، ثم أردفه بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ، وهذا يدل على تأثيره بالرّجاء، وكما أن الله جل جلاله لم يقل: (تَلِينُ جُلُودُهم وقُلُوبُهم بذكر الله)، بل قال: ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ، أي ساكنة إلى ذكر الله سبحانه وتعالى، وذلك يدل على أن نهاية سكونِها هو اطمئنانها إلى ذكر الله سبحانه وتعالى؛ لأن دلالة حرف الجر (إلى) هي النهاية[٢].

المحور الرابع:

يتمثل في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣].

أول ما أثاره في هذه الجملة هي: إثارة قلب المتلقي عند سماعه لهذه الآية: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ ، وكأنه يجعل المتلقي في عملية تفكير مستمرة، ثم أفصح عن تلميحه، وكأنه يُلقي جوابًا للمتلقي، ويقول: "وفي قوله: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ ﴾، قرين سبحانه وتعالى في فاتحة سورة البقرة ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] "[٣]، وكأنه يذكّر المتلقي بفاتحة سورة البقرة، ثم بيّن أن مصدر (هدًى) دلالة على كمال الهدى فيه، وإضافته إلى لفظ الجلالة (الله) الجامع لكل أسمائه الحسنى دلالة على أنه هدًى ليس كمثله هدًى[٤].

---

[١] المعنى القرآني، ص ٩٨ – ٩٩.

[٢] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٩٧.

[٣] المعنى القرآني، ص١٠١.

[٤] تمت الاستفادة من: المعنى القرآني، ص ١٠٠ – ١٠١.

المحور الخامس:

يتمثل في قوله تعالى: ﴿يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ **[الزمر: ٢٣].**

فقد بيّن الشيخ محمود – حفظه الله – أن هذا المحور يعلو فيه جلال الإلهية ظهورًا جليا، وكأن الآية تبعث رسالة إلى العباد، وهي العرفان بالسبيل إلى تحقيق شيء من ذلك الهدى الذي ليس كمثله هدًى، فليس من سبيل تحصيله إلا الالتجاء إلى المتفرد به، فهو سبحانه وتعالى الذي ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، وكما أنه نبّه إلى أن الهداية هنا هداية إعانة وتوفيق، لا هداية إبانة وإعلام، وأن الفوز العظيم هو الفوز بهذه الهداية[١].

وفي ختامه لهذه المحاور أفصح أن هذه الآية بها دلائل ظاهرة جلية على أن القرآن الكريم محيطٌ بكمال بلاغة تناسبه، وأن هذه البلاغة هي عمود الإعجاز، ثم وجّه نصيحة لا تنحصر على المسلمين فقط بل للإنسانية جمعاء، أن في إبراز معالم بلاغة القرآن شيءٌ عظيم من تَعبِيدِ الطريق إلى اتخاذ هذا الكتاب منهاجا للحياة، وكشف لهم مفتاح ذلك الطريق وهو الوقوف عند تلاوة كلماته وتدبرها[٢].

فقد استخرج من الآية هذه المحاور شارحًا لكل محور بعقله الجامع بين العقل الأصولي والبلاغي بعينٍ متبصرة ومتدبرة فتراه ضابطًا لحركة التأويل، فيقع في شقشقة ألفاظه وتفحص أساليبه وفق المقصود البياني للمعنى القرآني.

ثم ختم هذا المعقد بحديثه عن التدبر، وأنه لا يكون إلا لما هو مكنون في الكلم

---

(١) بتصرف من: المعنى القرآني، ص ١٠١ – ١٠٢.

(٢)السابق، ص ١٠٢.



من المعاني، وأن المبتغى بالتدبر هو المعنى القرآني [١].

٤ – ٣ المعقد الثالث: العواصم من القواصم (المنقذ من الضّلال)

إن غاية الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – في هذا المعقد أن يُمسِكَ بيد المتلقي، ويظهر له الأمور التي تعرقل وتعيق سعيه عن تلقي القرآن الكريم، وأن على العبد أن يتقي ما يمكن أن يعرقل سعيه، وأن يستعيذ بالله من الشيطان؛ لأن الشيطان أكبر عقبة لبني آدم جميعا، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨] [٢].

ثم ذكر أن هناك أموراً تعيق المرء عن تلقي كلام الله سبحانه وتعالى وتلقي معانيه، وأجملها في أربع كليات، وهي[٣]:

الكلية الأولى:	عواصم تتعلق بالقول في شأن مُنزِّل هذا القرآن سبحانه وتعالى.
الكلية الثانية:	عواصم تتعلق بالقول في شأن الكتاب نفسه.
الكلية الثالثة:	عواصم تتعلق بمقاصد هذا الكتاب.
الكلية الرابعة:	عواصم تتعلق باللسان الذي أبان به هذا الكتاب عن معانيه.

الكلية الأولى: عواصم تتعلق بالقول في شأن مُنزِّل هذا القرآن سبحانه وتعالى.

إن الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – أراد إثراء عقل المتلقي، وجعله يتبصر في ما استفتح به كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

---

[١] السابق.

[٢] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ١٠٣.

[٣] ينظر: المعنى القرآني، ص ١٠٤.



﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ١- ٤]، ثم بيّن أن هذا الاستهلال المبين عن صفات الله الحسنى، فيه هداية إلى من شاء أن يقرأ معاني الهدى من هذا الكتاب، وعليه أن يستحضر هذه الصفات؛ لأنه مستحقٌ للحمد لذاته وصفاته وأفعاله، فهذه السورة التي افتتح بها كتابه العظيم، هي أعظم سورة في القرآن وهي عصمة الفؤاد، وهي جامعة لكل صفات الله سبحانه وتعالى، فلا تكاد صفة من صفاته سبحانه وتعالى مذكورة في القرآن إلا وهي وثيقة العلاقة بصفة من صفاته المذكورة في مستهل سورة (الفاتحة)[1].

ثم أمسك بيد المتلقي وأبان له أنه سبحانه وتعالى استهل بيانه بما كان جمال الربوبية فيه أجلى وأظهر وأسبق إدراكا من جلال الألوهية تأنيسًا وتحببًا؛ ليقبل فؤاد المتلقي المتدبر، وهذا يهدي المتلقي إلى أن يكون المرء في تلقيه المعنى القرآني لا بد أن يستحضر هذه الصفات المذكورة في سورة (الفاتحة) استحضارًا فاعلًا آخذًا بجِماع فؤادِه[2].

ثم تناول بدايات بعض السور، وكشف عن أسرار صفاته سبحانه وتعالى المستهل بها في كل سورة تناولها، لذلك أرجو الاطلاع على ما جاء به الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – بعينٍ متبصرة ومتفكرة.

الكلية الثانية: عواصم تتعلق بالقول في شأن الكتاب نفسه.

إن الكلية الأولى استنبطها لإحسان فقه المعنى القرآني، وكما ذكر في الكلية الأولى أن الله سبحانه وتعالى استفتح كتابه بتلك السورة العظيمة، فجاء بالكلية الثانية فيما افتتحه في سورة (البقرة) التي هي مُفتتح تفصيل ما أحكم في سورة

---

(١) بتصرف من: المعنى القرآني، ص ١٠٤ – ١٠٥.

(٢) بتصرف من: المعنى القرآني، ١٠٥.



(الفاتحة) وتبيّن له ذلك من القرآن نفسه، وذكر الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – أنها تتمثل في ثلاث جمل، وهي في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢]، وأن هذه الجمل الثلاث هي مفاتح المعرفة بالقرآن من جهة، ومبينة عن المقصد الكلي من تنزيلِه على محمد ﷺ للناس، وهذه الجمل الثلاث هي [(١)]:

الجملة الأولى:

تتمثل في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ أن هذه الجملة بيّنت بعلو كمال القرآن ومنزلته وقدره، فهو الكتاب الكامل الجامع، وفيه ما يحقق الهداية إلى الصراط المستقيم، فكأن من قال: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] استجيب هذا الدعاء في فاتحة سورة (البقرة)، فيقل له: الصراط المستقيم الذي طلبت الهداية له هو ذلك الكتاب، فتجد أن في اسم الإشارة (ذلك) إيماء إلى (الصراط المستقيم) في سورة الفاتحة [(٢)].

الجملة الثانية:

تتمثل في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، فقد بيّنت هذه الجملة أن ذلك الكتاب الجامع الكامل، وأنه بعيد المنزلة، فذلك منتجًا عصمته من أن يكون فيه أدنى شيء يمكن أن يرتاب فيه [(٣)].

الجملة الثالثة:

تتمثل في قوله تعالى: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾، بيّنت هذه الجملة أن ما جاء له ذلك الكتاب

---

(١) ينظر: المعنى القرآني، ص ١١٣.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

العليّ، البعيد المنزلة، المنزه من أن يكون فيه من الريب شيء، إنما هو هدًى للمتقين من صراط الفريقين الآخرين في سورة الفاتحة ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ **و**﴿الضَّالِّينَ﴾**، فيكون هذا القرآن هدًى له يهديه بذلك، وقد حقق كمال الإخلاص في العبادة وكمال الإخلاص في الاستعانة في قوله تعالى:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **[الفاتحة: ٥]** [(١)].

أن هذه الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **هي المحور الرئيس الذي ترتبط به كل آية من آيات القرآن الكريم، وتجد أن كل آية من القرآن معناها من معدن معنى تلك الآية.**

الكلية الثالثة: عواصم تتعلق بمقاصد هذا الكتاب.

وأشار الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – في هامشه أن يقصد بالمقاصد ما يراعيه خطاب بيان الوحي قرآنًا وسنة من المعاني والحكم تحقيقًا لمصالح العباد في معاشهم تيسيرًا لطاعتهم ومعادهم تحقيقًا لفلاحهم فيه[(٢)].

فإن للبيان القرآني مناهج إبانة عن المعاني منظور فيها إلى شأن المعنى، وأن طلاب العلم ببلاغة القرآن عنايتهم هي شأن المتكلم، وشأن المخاطب طريق الإبانة أكثر من الاعتناء بشأن المعنى طريق الإبانة عنه، مع أنهم يلتفتون إلى اقتضاء شأن الغرض، ولكن المعنى المصوّر في باب الثناء ونحوه يحتاج إلى مزيد من الاعتناء باقتضاء شأنه منهاج إبانة؛ لأن في اقتضاء شأن الثناء على الله سبحانه وتعالى منهاج إبانة تصريحًا أو تلويحًا، لأنك تجد في سياقه أمرًا يرجع إلى طبيعة

---

(١) المعنى القرآني ، ص ١١٤ – ١١٥.

(٢) ينظر: السابق، ص ١١٧.



المعنى المثنى به على الله سبحانه وتعالى، وتجد فيه ما يطعم الفؤاد من تنغيم الأداء عطاءً قد لا يستشعره فؤاد آخر؛ لذلك جمع بين الدّرس البلاغي والدّرس الأصولي للوصول إلى المعنى القرآني[١].

أن من خصائص بيان القرآن الكريم أنه لا يكتفي بذكر الشيء الواحد مرة واحدة، بل تراه يذكره أكثر من مرة في نظمٍ مختلف، ويسمى ذلك تصريفًا، كما قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤١]، لذلك على المتدبر أن يكون على وعي بمواقع التصريف البياني للمعنى، فتجد أن الشيخ محمود – حفظه الله – ألقى هذه الوظيفة على المتدبر؛ لأن الله سبحانه وتعالى عندما يصرف بيانه عن المعنى الكليّ الواحد، تجد أن هناك إضافة جديدة تتناسب مع سياق التصريف والمقام والمقصود الأعظم للسورة[٢].

ثم ذكر أن وظيفة المتدبر السابقة أعلاه، أن تكون على نظرتين، وهي[٣]:

النظرة الأولى: بحسب الترتيب نزول الآيات.

النظرة الأخرى: بحسب ترتيب التلاوة.

ثم نبّه على من أكترث لفقه المعنى القرآني، أن عليه التحقق من أمرين[٤]:

الأول: أن عليه الحذر من أن يفقه المعنى على نحو لا يتلاءم مع ما ورد سباقه أو لحاقه.

---

(١) المعنى القرآني، ص ١١٨.

(٢) بتصرف من: المعنى القرآني، ص ١١٩.

(٣) ينظر: المعنى القرآني، ص ١١٩ – ١٢٠.

(٤) السابق، ص ١٢٠.



الآخر: أن يستمد من تلك المعاني السابقة واللاحقة ما يمنحه القدرة على أن يبصر في جوانب المعنى.

الكلية الرابعة: عواصم تتعلق باللسان الذي أبان به هذا الكتاب عن معانيه.

فقد بيّن أن هذه الكلية تستوجب العلم بخصائص اللسان العربي الذي نزل به البيان القرآني إفهاما وفهما، وقد استدل الشيخ محمود – حفظه الله – بآيات مبيّنة أن عربية القرآن هي عربية منهج إبانة على معانيه ومقاصده وليس عربية مصدر تنزّل، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقد أبان معلقًا على هذه الآية أن فيها دلالة بيّنة على أنه لا يستطيع ناظرٌ في القرآن أيّا كان قدره أن يفقه شيئا من معانيه الإحسانية إلا من سبيل فقهه بمنهاج العربية الذي كان في أمة العرب عند نزوله، فذلك هو السبيل الأول إلى الاقتراب من المعنى القرآني الكريم[١].

<u>سبب اختياره سبحانه وتعالى العربية لكتابه الكريم عن أمرين[٢]:</u>

١- لأن العربية هي لسان سيدنا محمد ﷺ، ليفهم عنه قومه، ثم يفهمون من ليس من العرب بلسانهم، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤].

---

[١] السابق، ص ١٢٨ – ١٢٩.

[٢] السابق، ص ١٣٢.



٢- لأن لسان العربية ليس كمثله أي لسان بشري، من قبل نزول القرآن وبعده، فله من الخصائص ما يجعله أهلاً به.

وقد بيّن من أن ما يتعلق بلسان البيان القرآني، هو العلم بالسياق المقالي والمقامي للقرآن على تعدده وامتداداته، ثم ذكر أن للسياق المقامي ضربين[١]:

١- سياق النزول: وهو سياق الزمان والمكان والحال عند نزوله على رسول ﷺ.

٢- سياق الزمان والمكان والحال عند تنزيل المعنى القرآني على الواقع.

ثم ختم حديثه في هذا المعقد عن السياقين المقامي والمقالي، فتجد في السياق المقامي أنه لا يحاط به؛ لأنه يكشف عن وجوه المعنى في النسق اللغوي ولا يحصرها، ويهدي إلى دلالات متعددة متنامية متصاعدة، فالعناية به قائمة إلى تفاعله مع السياق المقالي لفتح طاقاته الدلالية[٢].

٥ – ٣ المعقد الرابع: مستويات بناء صورة المعنى في الذكر الحكيم

بدأ هذا المعقد بكلمات الإمام عبد القاهر الجرجاني في نظريته (النظم)، وقد ذكر تعريفه للنظم بأنه توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم من العلاقات، يقول عبد القاهر – رحمه الله –: "اعلم أن ليس (النظم) إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو)، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخلو بشيء منها" [٣]. ثم ذكر حديث الإمام عبد القاهر – رحمه الله – في رحلته مع المعرفة، حيث إنه تشبع بما قاله العلماء من قبله ووضع القاعدة للمتلقي ليبني عليها طريقه، ولكن أكثر ما ركز عليه

---

[١] المعنى القرآني، ص ١٣٦.

[٢] السابق، ص ١٣٨.

[٣] دلائل الإعجاز، عبد القاهرة الجرجاني، ص ٨١.

الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – هو آخر حديثه عندما قال: "على أن ههنا نظمًا وترتيبًا وتأليفًا وتركيبًا، وصياغة وتصويرًا، ونسجًا وتحبيرًا "[1]، ثم بيّن الإمام عبد القاهر – رحمه الله – أن سبيل هذه المعاني في الكلام في مجاز فيه، أي: وصف البلاغة والبراعة، وعندما قال بعد ذلك: (سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها)، وقصد بـ (هي حقيقة فيها) أي صناعتها.

فقد بدأ هذا المعقد بهذه التوطئة حتى يبيّن أن كل كلمة تعتمد على نظام وترتيب ومقتضى وأن هذه الثلاث تخرج لنا الدلالة وأن المقتضى لابد أن يكون في الترتيب والتوالي ولابد أن الترتيب والنظام والمقتضى قائم على الكلمة والجملة والفقرة والفصل، لذلك بدأ هذا المعقد بأقوال عميد البلاغيين عبد القاهر الجرجاني.

فتجد أن هذه الألفاظ التي ركز عليها الشيخ محمود – حفظه الله – هي ألفاظ مجازية، وقد قسمها إلى ضربين [2]:

الأول: سمات البناء.

أي بناء المعنى وصورته، ويتمثل في هذه الألفاظ: (النظم، والترتيب، والتأليف، والتركيب)، وقد جعلها في قسمين [3]:

١– النظم والترتيب: وتكون في صورة المعنى جملة، وإن امتدت سطورًا.

٢– التأليف والتركيب: وتكون فيما وراء الجملة على امتدادها.

---

[1] السابق، ص ٣٤.

[2] ينظر: المعنى القرآني، ص ١٤١.

[3] السابق.



الثاني: سمات التشكيل.

وهي تتمثل في هذه الألفاظ (صياغة، وتصوير، ونسج، وتحبير)، وقد جعلها في قسمين [١]:

١- الصياغة والتصوير: وهو يتمثل في التشكيل المبني على المزج بين المكونات، حيث إن التصوير أعلى مرحلة من الصياغة، فبدايتها من الصياغة ونهايتها التصوير.

٢- النسج والتحبير: وهو يتمثل في التشكيل المبني على الجدل والحبك بين المكونات، كما في أسلوب المزاوجة والاحتباك وغيره، حيث إن التحبير مرحلة أعلى من النسج، فبدايتها جدل النسج ونهايتها التحبير، فهناك نسج غير محبّر، وهناك نسج محبّر.

وهذا يدل أن منهجَ الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – قائمٌ على التدبر في كلام الله سبحانه وتعالى وفي غير كلام الله عز وجل، فانظر كيف تدبر كلام الإمام عبد القاهر – رحمه الله – وجعله أساس هذا المعقد، حتى استخرج من كلامه بما يخدمه في بيان المعنى القرآني، وذكر قول الإمام عبد القاهر – رحمه الله – في إثبات الإعجاز: "وبهرهم أنهم تأمَّلوه سُورةً سورَةً، وعَشْراً عَشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة يَنْبو بها مكانها، ولفظةً يُنكرُ شانُها، أو يُرى أنَّ غيرها أصلحُ هناك أو أشْبَه، أو أحرى وأخْلَق، بل وجدوا اتِّساقاً بهر العقول، وأعجز الجمهور. ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً، لم يَدعْ في نفس بليغ منهم – ولو حكَّ بيافوخه السماء – موضع طمع، حتى خرست الألسن عن أنْ تَدَّعي وتقول، وخلدتِ القُروم، فلم تملَك أن

---

[١] المعنى القرآني، ص ١٤١.



تصول"[١]، ثم علق على كلام الإمام عبد القاهر وبيّن أنه تدبر بيان القرآن، بدءًا من مستوى الآية إلى مستوى السورة وهي مستويات متنامية، وهذا ما أراده الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – الجمع بين العقل الأصولي والبلاغي، وذلك ما وجده في عقل الإمام عبد القاهر – رحمه الله –.

ثم امسك بيد المتلقي وأوضح له أن ما من (ترتيب) إلا وهو مبني على (النظم)، وأن (التأليف) يحمل بداخله (الترتيب والنظم)، وأن (التركيب) يحمل بداخله بقية مستويات البناء (النظم والترتيب والتأليف)، وأن المتدبر في هذه المستويات لا يحسن فهمها إلا بحسن فهم التركيب الذي يحمل بداخله الخواص النظمية في بناء الجملة، وذلك لا يكون إلا في ضوء الغرض المساق له الكلام [٢].

ثم فصّل القول في مستويات البناء، وبيّن أن مستويات بناء صورة المعنى في العقل البلاغي على أربعة مستويات بدءا من معنى الجملة (وحدة نحوية) إلى معنى النص (وحدة دلالية)، وهي[٣]:

١- النظم:

وهو توخي معاني النحو فيما بين معاني الكلم في بناء الجملة على حسب الأغراض والمعاني التي يقال لها الكلام، فتجد أن الأمر في بلاغته وحسنه راجع إلى المعنى الذي هو راجع إلى النظم، فمن النظم يكون المجاز (لأن المجاز عند عبد القاهر خاضع لسلطان النظم)؛ لذلك تكون كل فنون المجاز على تنوعها من النظم،

---

[١] أسرار البلاغة، أبي بكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م، ص ٣٩.

[٢] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ١٤٥- ١٤٦.

[٣] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ١٤٦ – ١٥٠.



ومن النظم يكون البديع كغيره من أساليب البلاغة.

ثم بيّن أن النظم يكاد ينحصر في ما هو وحدة نحوية (الجملة)، وهي أصغر وحدة لغوية مفيدة قابلة للتحليل، فهذه الوحدة النحوية يمكن أن تكون وحدة دلالية (نصًا) إذا لم تكن بحاجة إلى غيرها؛ ليفهم المراد منها، وبهذا يظهر لنا أن تنوع مستويات صورة المعنى ليس مرتبطة بنصيبة البيان، فقد يكون مقتصراً على مستوى واحد أو مستويين أو أكثر.

٢- الترتيب:

هو توخي ما يكون بين معاني الجمل من علاقات غير الإعرابية (أي ما يكون بين المعاني الجزئية القائمة في كل جملة)، على حسب الأغراض التي يقال فيها، وهذا المستوى تجده وسيع فسطاطه في بيان الوحي، ثم يمسك بيد المتلقي ويجعله يستبصر في علاقات الجمل في مطلع سورة (البقرة) أو آية الكرسي، ثم يكشف له أن معُظمها قائمة على هذا المستوى.

٣- التأليف:

وهو توخي ما يكون بين معاني الصورة الكلية من علاقات في بناء (الفصل) على حسب الغرض المرحلي الذي يقال فيه، أي كل معنى جزئي لصورة يتآلف مع السابق واللاحق وصولا إلى الغرض المرحلي، فتجد أن (الفصل)عمود بنيته هو (التأليف) فهو يتمثل فيما بين معاني الصور الكلية من علاقات توجب نسقها في بنية (الفصل)، ومعنى الصورة الواحدة (الفقرة) مكون من معاني الجمل المكونة للصورة، وهذا التناسق بين معاني الصور يسمى تأليفًا، فمدارسة التأليف هي مدارسة النظم والترتيب أيضًا.

٤- التركيب:

هو توخي ما يكون بين معاني (الفصول) (أي: الأغراض المرحلية الجزئية) من العلاقة في بناء النص كاملا على حسب الغرض المحوري الرئيسي للنص، فهو وحدة تؤلف بين الموضوعات المتعددة في أغراضها المرحلية مع ما يتحقق من وحدة المغزى الكلي للنص.

٦ – ٣ المعقد الخامس: النص والخطاب وما إليهما

لم يطل الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – في هذا المعقد حيث ذكر الفرق بين (النص) و(الخطاب) الذي ظهرا كثيرا في كتابات المحدثين، فوجد الشيخ محمود – حفظه الله – أن هذا الموضوع لزاما أن يبيّنه في كتابه هذا، لأنه قد يخطر في بال المتلقي أن البيان القرآني في تلك الرؤية الحديثة هل هو (نصٌ أم خطاب)؟، فجاء الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – بالجواب على ذلك السؤال.

أول ما ذكره هو الفرق بينهما (النص والخطاب) وسأوضح الفرق في الجدول الآتي [1]:

النص	الخطاب
هو قول مستقل بنفسه مكتمل الدلالة الذاتية غير مرتبط بسياق استعمالي، أي لا يشترط فيه وجود مخاطب.	هو النص الملحوظ فيه حال من يخاطب به لتحقق التواصل والتأثير، فهو مرتبط بالسياق الاستعمالي.
أن التكامل والاستقلالية الذاتية هي عمود النص.	أن التأثيرية والسياق الاستعمالي هي عمود الخطاب.

[1] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ١٥١.



وأن العقل البلاغي – حصيفًا في بيانه– هو جوهرُ الفعل البلاغي؛ لأنه هو (مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال)، وكلمة الحال تشمل: (حال المعنى والمغزى، وحال المتكلم، وحال المخاطب بالكلام، وحال مقام الكلام إنتاجا وتلقيا)، وأن العقل البلاغي اهتم بالتأثير الذي يحقق الاقتناع العقلي والنفسي معا، لذلك أورد تعريف البلاغة لأبي الحسن الرماني بأنها (إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ)، فلو أنك تأملت ما ذكره الشيخ محمود – حفظه الله – لوجدت أنه يريد أن يبين أن كل ما ذكره المحدثون هو مناط عناية العقل البلاغي عند الأسبقين [١].

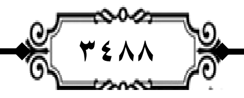
إن العقل البلاغي يهتم بفعل القول من حيث هو (القول – البيان – الكلام)، وسيتم الإشارة إلى كلٍ منهم:

القول	البيان	الكلام
أنه عمود الأمر في المفردات المشتقة من هذه المادة إنما هو الخفة والحركة، وعمود الأمر في الألفاظ المأخوذة من البيان.	هو قول أبان به المتكلم عما هو مكنون في فؤاده سواء تحقق تأثيره في السامع ولم يتحقق ذلك.	هو قول مبين مكتمل في ذاته من شأنه التأثير البالغ في سامعه.

ثم نبه الشيخ محمود – حفظه الله – إلى أن هذه الفروق بين هذه المصطلحات (النص، والخطاب، والقول، والبيان، والكلام) تتلاشى في سياق حديثه في شأن البيان القرآني، وهذا هو الرد على سؤال المتلقي، ثم بيّن الشيخ – حفظه الله – لماذا أكثر من تلك المصطلحات (البيان القرآني، النص، الخطاب)، فهو أراد أن يبين أن البيان

---

[١] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ١٥٢.



هو وصف للقرآن كما قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

ثم بيّن أن ذكره لمصطلح (النص) لفتٌ إلى الوجود الكلي للبيان الذي هو مناط النظر الرئيس. وذكره لمصطلح (الخطاب) لاستحضار الوعي بأن هذا البيان قيمته التأثيرية وجه من وجوه إعجاز البيان القرآني[١].

١ - ٤ منهجية التدبر في الشريح الثاني (معالم على الطريق)

إن المتأمل في توطئة هذا الشريج يجد أن الشيخ محمود توفيق - حفظه الله - أرضيته المعرفية متمثلة في كلام الإمام عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله -، وكأنه يلفت نظر المتلقي على أنه سار على نهجه وخطاه، وأن ما قاله هو عماد هذا الكتاب وأنه تنظير عما سيطبقه في المعاقد اللاحقة، فانظر في قول الإمام عبد القاهر: "ومن البيّن الجليّ أن التباينَ في هذه الفضيلة، والتباعد عنها إلى ما ينافيها من الرذيلة، ليس بمجرَّد اللفظ، كيف والألفاظ لا تُفيد حتى تُؤلَّف ضرباً خاصّاً من التأليف، ويُعْمَد بها إلى وجه دونِ وجهٍ من التركيب والترتيب، فلو أنك عَمَدت إلى بيت شعرٍ أو فَصْل نثرٍ فعددت كلماته عَدّاً كيف جاء واتَّفق، وأبطلت نضدَهُ ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرغ المعنى وأجري، وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، وبنَسَقِه المخصوص أبان المراد..." [٢]، يقول أيضًا: " إذا تغير النظم فلا بد حينئذ من أن يتغير المعنى"[٣]. فانظر كيف أثبت أن اللفظ لا فضيلة له إلا في السياق، وأنه إذا تغير موضع اللفظ تغير المعنى، لذلك أرجع المزية إلى النظم ؛ لأنه

---

[١] بتصرف من: المعنى القرآني، ١٥٤.

[٢] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص ٤.

[٣] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ٢٦٥.



هو الذي يتحكم ببنية اللفظ، وهذا ما أراده الشيخ محمود توفيق – حفظه الله –، إذ يقول: " فأدنى تغيير في مواقع مكونات البيان يحدث تغييرا في المعنى والمغزى معا "[١].

٢ – ٤ المعقد الأول: موقع السورة من نسق التلاوة المديد والحزب الذي تكون فيه

بدأ هذا المعقد بالحق الجليّ وهو نزول القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، فانظر كيف تدبر هذه الآية الكريمة وكيف تناولها، وقف بدايةً على المعنى الكليّ للآية وهو إنزال القرآن على نبيه الشريف ﷺ وأن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ هذا النبأ العظيم، وأن لفظة (الذكر) تدل على أنه: "اسم واقع على كل ما أنزله الله على نبيه ﷺ من قرآن أو من سنة ليبين بها القرآن؛ وذلك من قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥]" [٢]، ثم وقف على قوله (له) وبيّن أن الله سبحانه وتعالى قد قدمها لبيان خصوصية هذا الكتاب، وأنه هو الكتاب المحفوظ دون غيره من الكتب السماوية، ثم وقف على قوله (إنا) وبيّن إن توكيد الإنباء بتنزيله يختلف عن توكيد الإنباء بحفظه، حيث إن توكيد الإنباء بتنزيله جملة اسمية وتوكيد الإنباء بحفظه فعلية [٣].

ثم وقف على الضمير المنفصل (نحن) الذي يفيد التعظيم والتفخيم، وبيّن ما يشعر به المتدبر حين يسمعها ويتلاقها بفؤاده فهي نعمة عظيمة باستماع ما يدل على

---

[١] المعنى القرآني، ص ١٦٠.

[٢] تمت الاستفادة من: أرشيف ملتقى أهل التفسير، ٢٠١٠م، https://al-maktaba.org/book/31871/1195#p28.

[٣] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ١٦٣ – ١٦٤.



عظمته وجلاله وعزته وبقوله (إنا نحن) بها فيضٌ من لذة القنوت والخشوع، ثم انتقل إلى قوله (نزلنّا) وبيّن أن إسناد (نزّل) إلى (نا) دلالة على عونٌ للفؤاد على أن يتبصر بعض ما لهذا الفعل (نزّل) من الجلالِ، وأن الفعل لا يدرك قدر معنى إلا بحسن العلم بفاعله، فإن كان الفعل من رب العالمين، فلا سبيل ألبتة أن يكون للفؤاد [1].

ثم بيّن لك سر اصطفاء كلمة (الذّكر) دون كلمة (القرآن) أو (الكتاب) اللتين هما أكثر حضورًا من كلمة (الذّكر) في أغلب البيان القرآني، وأفصح لك عن أمرينِ جليليينِ، هما [2]:

١- استحضار العلم بأن يكون هذا القرآن مذكورًا في الأفئدة والألسنة، ففيه ذكر ما يحب الله – تعالى – من عباده ولعباده، وما لا يحبه منهم، فيكون ذلك عون على أن يسلكوا السبيل القويم.

٢- استحضار ما يكون لأهله تعلمًا وتعليمًا وترتيلًا وتدبرًا وتخلقًا ودعوةً من لسان صدق في الآخرين.

كما أن هناك إبلاغا في تقرير تكفله سبحانه وتعالى بحفظ (الذكر)، وذلك في (نـا) من (نزلنا) التي تقال تجليّا بالعظمة على أفئدة المخاطبين، ثم يقول لك إنك إذا سمعت الله سبحانه وتعالى ينبئ نفسه بـ (نا) فاعلم أنه يريدك أن تتلقى ما هو مخبر عنه، وفؤادك مفعم بتعظيمه جل جلاله حتى تتمكن من حسن تلقيه[3].

وفي دخول لام الابتداء على الخبر باسم الفاعل في (حافظون) دليل على تقرير

---

[1] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ١٦٤.

[2] ينظر: المعنى القرآني، ص ١٦٥.

[3] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ١٦٦.



ثبات الحفظ وتمكنه، وأنه لا يعتريه انقطاع [١].

- **تنزيلات القرآن: الدلالة وظواهر جمال الحكمة الربّانية**

فقد أوضح الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – ما توارثه أهل العلم أن للقرآن ثلاث تنزّيلات[٢]:

التنزيل الأول: من الله سبحانه وتعالى إلى اللوح المحفوظ.

قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ **[البروج: ٢١ – ٢٢]، وقد نزل القرآن جملة في اللوح المحفوظ، وذلك اللوح هو الذي أودع الله سبحانه وتعالى كل شيء فيه، قال تعالى:** ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ **[الأنعام: ٣٨].**

التنزيل الثاني: من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة في ليلة القدر. قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ **[القدر: ١].**

وقد جاء بحديث رواه الحاكم بسنده في المستدرك على الصحيحين، أنه أنزل القرآن جملة واحدة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا –، قَالَ: « فُصِلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَجَعَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنَزِّلُهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا »[٣].

---

[١] السابق.

[٢] ينظر: المعنى القرآني، ص ١٦٧ – ١٧٧.

[٣] المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، الجزء الثاني، ص ٦٦٧.

وقد وضح الشيخ محمود – حفظه الله – أن هذين التنزيلين على العبد أن يؤمن بهما الإيمان المطلق بالغيب، ولا سبيل إلى العرفان بكيفية هذا التنزيل.

التنزيل الثالث: من بيت العزة إلى سيدنا رسول الله ﷺ في ثلاثة وعشرين عامًا بدأ التنزيل من ليلة القدر.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥]، وقد بيّن أن هذا التنزيل كان منجّما على حسب الأحداث والوقائع، وأن على العقل البلاغي يتأمل ويتبصر بمنهج القرآن في معالجة الأحداث للآيات.

ومن خلال تلك التنزيلات يتبين لك أن التنزيل الأول والثاني كان نزولا جمعيًا للقرآن الكريم، وكان التنزيل الثالث مفرقًا.

فانظر إلى الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – كيف تدبر القرآن الكريم، فهو تدبر القرآن ككل وبدأ بكيفية نزوله، ثم تتدبره على أنه منزل من اللوح المحفوظ وكيف استشعر بعظمة هذا القرآن الكريم، وهذا ما أراده أن يجعل شعوره يصل إلى فؤاد المتلقي ليستشعر بعظمة هذا الكتاب الذي بين أيدينا، فهو أقام هذه المدارسة لمواقع الآيات ونسق السور وترتيبها لتكون فريضة على القائمين للوفاء بحق النصيحة لكتاب الله تعالى، فتجد فيها تبيين وتقرير بالحجة المتينة لحقيقة إعجاز القرآن في بلاغته، بدءًا من بناء الجملة في سياقها إلى نسق السور في السياق الترتيلي المديد للقرآن كله(١).

فهدفه من هذا الكتاب أن يقيم في قلبك محراب تبصرك بالقرآن الكريم، والاهتداء

---

(١) بتصرف من: المعنى القرآني، ص ١٧١ – ١٧٤.



بما فيه من معاني الهدى.

- أثر تحزيب القرآن: الوعي بموقع السورة من حركة المعنى القرآني المديد

تحدث الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – عن مكانة السورة في القرآن الكريم، وأن سور كلّ حزب لها خصوصية تمتاز بها عن سور الأحزاب الأخر، فهو أهتم بالطابع العام لسور كلّ حزب، ثم ينظر في موقعها ويستخرج منها خصائص هذه السورة على مستوى الموضوع والمضمون، ونبه أن هذا العمل هو مشغلة العقل البلاغي الذي ينظر بموقع السورة في سياقها الترتيلي.

وقد ذكر دراسة شيخه محمد أبو موسى – حفظه الله – في سور (آل حم) بأن في دراسته هذه بيان عن علاقة هذه السور بسياقها، وعلاقة كلّ سورة بما قبلها، واستخلص الشيخ محمود – حفظه الله – من دراسة شيخه أن سورة (غافر) أمّ ما جاء في سائر سور (آل حم) [١].

وقد بيّن أن تحزيب القرآن أربعة أحزاب أمرًا توقيفيًا من السنة النبوية، فهذا يدل أن لكل حزب من الأحزاب الأربعة خصوصية في الرسالة التي يحملها بيان سور كلّ (أي: معنى أم لكل حزب)[٢].

وثم كشف للمتلقي طريق إفهام المعنى القرآني والمكنون فيه، فبيّن له أن كلّ سورة في كلّ حزب تقوم بثلاث مهام كبرى، وهي [٣]:

المهمة الأولى: التهيئة لما هو آت فيها.

---

(١) ينظر: المعنى القرآني، ص ١٧٩.

(٢) السابق.

(٣) ينظر: المعنى القرآني، ص ١٨١ – ١٨٢.

المهمة الثانية: تأسيس معان جديدة لم يسبق إيرادها نوعًا أو كيفية.

المهمة الثالثة: تقرير ما تم تأسيسه والتهيئة لما هو آت في السورة اللاحقة.

وهذا يهديك إلى أن المعنى القرآني يرد على الفؤاد المعافى ثلاث مرات، كل مرة يرد عليها في صورة مختلفة عن غيرها، فهذا من تصريف البيان العالي عن المعنى.

فانظر كيف تدبر القرآن واستخرج منه هذه المهمات الثلاث، التي تبيّن لك عظمة عقليته البلاغية والأصولية، التي يطرحها بشكل يلامس فؤاد المتلقي حتى وإن كانت الفكرة قد سبق لك معرفتها. إن أسلوب الشيخ محمود – حفظه الله – مستقى من منهجه وهو التدبر حتى يؤثر على المتلقي، وهذا يدلك على مدى تأثره بالقرآن الكريم.

ثم تتطرق إلى أن لكلّ سورة لها موقع من أمرين [١]:

الأمر الأول: موقعها من سورة (أم الكتاب).

الأمر الآخر: موقعها من سور حزبها.

حيث أن الأمر الأول قام بتفصيله، وجعل أصول المعنى القرآني المجملة في سورة (أم الكتاب) على النحو التالي:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَـٰنِ﴾ ﴿الرَّحِيمِ﴾ ﴿مَالِكِ﴾ ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿اهْدِنَا﴾ ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، **بحيث إن كل أصل من هذه**

---

[١] المعنى القرآني، ص ١٨٢.



الأصول المجملة في (أم القرآن) له تفاصيله في سائر سور القرآن.

ويتوصل من ذلك إلى نوعين من الاستقراء، وهما[١]:

الأول: استقراء علاقات معاني كلّ سورة بأصله من (أم القرآن) على نسق التلاوة.

الثاني: استقراء علاقات المعنى الواحد بأصله في (أم القرآن) على مستوى القرآن كله.

وطرح مثال على النوع الثاني من الاستقراء، قال تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]، فمن ملك هذا اليوم لا بد أن يكون إلها واحدًا لا ينازع، فتدخل تحته كل الجمل والآيات الدالة على وحدانيته تعالى، وهذا يبين لك أن الآية الواحدة يمكن أن ترتبط بأكثر من أصل من الأصول المكنونة في سورة (الفاتحة)، وهذا يحتاج إلى التفرس والمراجعة والمفاتشة لإبصار العلاقات الخفية والبعيدة، فعلماء الأصول وعلم البلاغة مدركون ذلك[٢].

وبيّن لك أن الأمر الآخر وهو موقعها من سور حزبها فيه خصوصية لكل حزب من حيث المعنى الذي تحمله كلّ سورة، وفي موقع سورة (البقرة) وموقع سورة (يونس) وموقع سورة (لقمان) وموقع سورة (ق) كلّ في مفتتح حزب، وعلاقة كلّ بسائر سور هذا الحزب، أن موقع السورة تحدده رسالتها وما تحمله من المعنى والمغزى [٣].

---

[١] السابق، ص ١٨٣ – ١٨٤.

[٢] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ١٨٥.

[٣] ينظر: المعنى القرآني، ص ١٨٦ – ١٨٧.

٣ – ٤ المعقد الثاني: الطريق إلى استنباط المقصود الأعظم للسورة وفقه أثره في البناء النصي

بيّن الشيخ محمود – حفظه الله – في هذا المعقد أن كلمة (السورة) مأخوذة من (السؤر) الذي هو بقية مما يشرب ثم خفّفت همزته، وفي ذلك دلالة على تجانس آيات السورة من جهة وتجانسها مع سائر السور الأخرى؛ لأن سؤر الشراب يجانس سائره.

بحيث أن تسمية (السورة) تسمية توقيفية، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣] [١].

ثم تناول موقع المقصود الأعظم من أغراض السورة، بحيث إن لكلّ سورة من السور القرآن مقصدا رئيسيا ومحوريا تدور عليه آياته، فيبيّن لك أن المقصود الأعظم للسورة ليس هو مضمونها أو موضوعاتها، وإنما هو المعنى المحوري المركزي التي تقوم عليه كلّ معاقد السورة وآياتها، وأن المقصود الأعظم يوصلك إلى جميع أغراض الموضوعات المندرجة في السورة، وأن أغراض السورة هي أغراض مرحلية لموضوعاتها، وهذه تخضع لسلطان المقصود الأعظم. وكما أنه نبه إلى أن على المستبصر أن يوازن بين أمرين: مستوى الحضور لكلّ، ومستوى الظهور لكلّ، بحيث إن العيار هو مستوى الحضور لا مستوى الظهور، فكلما كان الحضور أشمل كان الأقرب إلى الحقيقة [٢].

وقد بيّن لك أن استبصار المقصود الأعظم للسورة أمر بالغ الأهمية في منهج

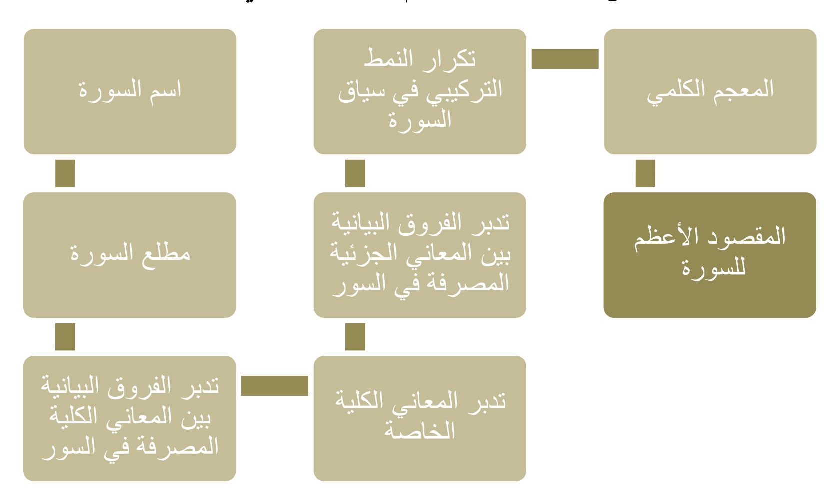
---

[١] المعنى القرآني، ص ١٩١.

[٢] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ١٩٤– ١٩٧.



التلقي؛ لذلك وضع لك الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – روافد استبصار المقصود الأعظم للسورة، ونبه على أنه جمع هذه الروافد لتبصره لا لأن تحمله أو تقلده، وهذه الروافد وسيلة للوصل إلى المقصود الأعظم للسورة، وهي سبعة روافد[١]:



الرافد الأول: اسم السورة

بدأ هذا الرافد بقصة أبينا آدم – عليه الصلاة والسلام – في أول موضع وردت فيه سورة (البقرة) المبنية على تقرير (الإيمان بالغيب)، وأن بعض مشاهد هذه القصة لم ترد في القرآن إلا في هذا الموضع من سورة (البقرة)، وذلك يدل على أن هناك علاقة وثقى بأمر (الإيمان بالغيب) وهي المعنى الأم للسورة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ **[البقرة: ٣٠]، حيث إن هذه الآية جاءت معطوفة على خلق الأرض والسماء، قال تعالى:** ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ **[البقرة:**

---

[١] ينظر: المعنى القرآني، ص ٢٠٠ – ٢٧٣.



٢٩]، ثم بيّن لك أن سبحانه وتعالى كأنه من بعد أن امتن بخلق السماوات والأرض ذكر من خلقت له السماوات والأرض، فما فيها جميعًا إنما سخر لبني آدم، ليكون عونا لهم على تخسير أنفسهم لله سبحانه وتعالى [١].

ثم بيّن لك أن (الاسم) يهدي إلى ما هو ذاتي وجوهري في المسمى، لذلك تتطرق إلى تسمية السور بين التوقيف والاجتهاد، ووضح أن بعض السور جاءت على لسان رسول الله ﷺ، ومنها: سورة (الفاتحة – أم الكتاب – أم القرآن)، سورة (البقرة) وغيرها، ومثال على ذلك: «عن أبى الدرداء– رضى الله عنه –أن رسول الله ﷺ قال :«من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال» [٢] [٣].

ومنها ما جاء على لسان الصحابة رضي الله عنهم، ومنها ما جاء على ألسنة التابعين والأعيان من أهل العلم، فنبه الشيخ محمود – حفظه الله – من التمييز بين ما هو توقيفي من الأسماء وما هو من الصحابة رضي الله عنهم أو التابعين أو الأعيان من أهل العلم، والتوقيفي هو المقدم في النظر؛ لأنه لا شك أحكم وأنفذ، ثم ما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن تسمية الصحابي إنما هي عن استبصاره للمعنى المركزي في السورة. بعد ذلك تتطرق إلى تفاوت أهل العلم في توجيه أسماء السور، فمنهم من ذهب إلى أن تسمية السور لأمر متعلق بذكره فيها، إما لندرته أو غرابته، وجاء الشيخ محمود – حفظه الله – بمثال يجعلك تتفكر بما ذهب إليه أهل العلم، وبيّن أن هناك غرضًا آخر، فيقول: " ليس دقيقًا أن تكون التسمية لمثل ما

---

[١] ينظر: المعنى القرآني، ص ٢٠٠.

[٢] أخرجه مسلم، برقم (٨٠٩)، تحقيق المسند: إسناده صحيح.

[٣] صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م، الجزء الأول، ص ٥٥٥.



ذكر، فالتمييز وتيسير المذاكرة يتحقق إذا ما سمينا سورة (النمل) سورة (الهدهد) مثلا، فالعلة تتحقق بالاسمين، فلمَ اختير اسم النمل، وترك اسم الهدهد؟ من وراء التسمية أمر متعلق بمقصدها القائم فيها جميعًا على تنوع في مستويات الظهور لا الحضور، وهو الذي يجري البيان بتحقيقه في الأفئدة، وتفعيله فيها، وتكون السورة بمجموعها جارية بذلك " [١].

وفي اختيار اسم (النمل) كان لسبب الحضور الأشمل والأقرب من مقصودها الأعظم وهو إظهار العلم والحكمة، حيث إنه جاء بقصة الهدهد: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴾ **[النمل: ٢٢]، وفي قصة النمل:** ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ **[النمل: ١٨]، وأفصح لك عن الفرق بينهما بحيث إنك ترى في قصة (النمل) ما فيها من حكمة ممزوجة بالعلم، وهذا لا تراه في قصة (الهدهد)؛ لذلك كانت قصة (النمل) أعلق بمقصود السورة**[٢].

ثم تناول وجه تعدد الأسماء، حيث إن هناك سورًا لها أكثر من اسم؛ وذلك يدل على عظيم فضل هذه السورة من أن فيها معاني كلية متعددة، وتعدد هذه المعاني الكلية آية على وفرة ما يمكن تفصيله منها، فهي ذات إجمال، فتعدد الأسماء لا يعني أن لها أكثر من مقصود أعظم، بل هذا يدل على أن هناك بعض الأسماء ما يرادفها في مدلولها [٣].

---

[١] المعنى القرآني، ص ٢١١ – ص ٢١٣.

[٢] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٢٢١.

[٣] السابق، ص ٢١٣ – ٢١٤.

الرافد الثاني: مطلع السورة ومقطعها تلاوة.

وقد أبان من قوله (تلاوة) إلى أن هناك إشارة يريد أن ينبه بها المتلقي، وهي أن مطلع كل سورة وثيقُ النسب بمقطع التي قبلها، فهو مطلع مرحلة من مراحل تصاعد المعنى القرآني، وهو مفتتح تلاوة، وقد بيّن أن هذا الرافد أطلقَ عليه أهل العلم ما عرف بـ (براعة الاستهلال وحسن الختام) وغيره [1].

<u>وقد بيّن لك الطريق في بناء السورة، وجعلها في أمرين لتتبصر شيئا من الحكمة بالتدبر فيهما، وهما:</u>

١- علاقة فاتحة السورة وخاتمتها بالمتن الذي يجري عليه البيان من فاتحته إلى خاتمته، ولا سيما المعنى المركزي فيه.

٢- علاقة الخاتمة بالفاتحة موضوعا ووظيفة.

وتجد ما في الفاتحة والمطلع أهمية، حيث إن شأن ما هو فاتحة، وما هو خاتمة أنه أسرع الأشياء تذكرًا، لأنه الأكثر تقررًا، وخاصة الفاتحة التي تحظى دائما بالعناية؛ لأنها أول ما يدركه السامع [2].

ومن ثم جاء بأقوال العلماء عن فواتح السور وخواتهما، وأوضح قوله في ذلك، وقال: "إن استبصار دلالة المطلع على المقصود إنما يكون بالتأمل والتدبر وفقًا لأصول علوم البلاغة: المعاني والبيان من خصائص أنماط التراكيب وضروب التصوير وصنوف التحبير، فهذا إيماء إلى وجوب التدبر البياني لمطلع السورة

---

[1] السابق، ص ٢٢٥.

[2] ينظر: المعنى القرآني، ص ٢٢٧.



لاستكشاف دلالتها على مقصود السورة "[١].

وتجد ما في الخاتمة والمقطع من أهمية، حيث إن في كل مطلع تلاوة كلّ سورة دلائل على مضمونها وقرائن هداية إلى حسن استبصار معالم مقصودها الأعظم، فإن من سنن بناء الكلام في أدب العربية أن ينعطف آخر الكلام على أوله، ويكون في آخره ما يتآخى مع أوله ويتناغى مع مفتتحه [٢]، وإن في مطلع التلاوة ومختتمها استجماع معاني الكلام واكتناز مقاصده، فهو آخر ما يسمع، فوجب أن يكون كنزًا جامعًا لمعانيه ومقاصده [٣].

تناول عدة سور ليقارب بين مطلع السور ومقطعها، وسأذكر ما وقف عليه في سورة (البقرة):

أن استهلال سورة البقرة هو الآيات الثلاث الأول، ومقدمتها تبدأ من أولها إلى نهاية قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠]، أن مقدمة السورة أبسط وأمد من مستهلها. ثم ذكر خاتمتها وهي: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى

---

[١] المعنى القرآني، ص ٢٣١.

[٢] السابق، ص ٢٣٢.

[٣] العزفُ على أنوار الذِّكر: معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة، محمود توفيق محمد سعد، مكتبة علاء الدين، شبين الكوم – المنوفية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ص ١١١.

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٤ - ٢٨٦]، ثم جاء بقلب السورة، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥ - ٢٥٧].

أن في مقدمة سورة (البقرة) هداية إلى أن ما تقوم عليه السورة جميعها هو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[البقرة: ٣]، فهذه العبارة دالة على المعنى المركزي، فجميع آياتها قائمة على الإيمان بالغيب، ثم بيّن أن في مقدمتها ثلاث مرتكزات، وهي[1]:

الكتاب	المتقين	الإيمان بالغيب

وقد أوضح أن قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢]، جاءت وجيزة لمعنى جدّ مديد بسيط لا يحاط به، ثم وقف على (المتقين) والتفت إلى جميع آياتها، فتبيّن له أن كلمات مادة (التقوى) ذكرت كثيرًا فيها على نحو لم يكن في غيرها، وأن أساس التقوى هو اليقين الراسخ بالغيب، ثم يجعل القارئ يتأمل الآيات العشرين الأوُل منها، فيقول: "لو أنك اعتكفت في الآيات العشرين الأول من سورة

(١) المعنى القرآني، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.



(البقرة) لتبين لك أثر حضور (الإيمان بالغيب)، وأثر غيابه..." [١].

وكما أنه بيّن أن هناك قصصًا ذكرت فيها تدل على المعنى المركزي، مثل قصة أبينا آدم – عليه السلام –، وأيضًا محاجة سيدنا إبراهيم – عليه السلام – مع الملك النمرود، وغيرها، فجميعها تدل على إبراز لمعنى الإعلام بالغيب [٢].

ثم أوضح لك أن التشريعات التي جاءت في السورة أساسها الإيمان بالغيب؛ لذلك تجد الختام قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ – ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [٣]، فقد ذكر ما يدل على التآخي بين المطلع والخاتمة، حيث إن السورة بدأت بوصف المؤمنين بالكتاب، وختمها بعد تفصيل الإنفاق الذي وصفهم به أولها على وجه يتصل بما قبله من أوامره ونواهيه، وأن من آمن بالله وكتابه الذي لا ريب فيه، كان منصورًا على الكافرين، وكان يقينا على هدى من ربه وكان مفلحا، وهذا ما دل عليه الدعاء في خاتمتها [٤].

الرافد الثالث: تدبر الفروق البيانية بين المعاني الكلية المصرّفة في السور

أن سور حزب السبع الطّوال وحزب المئين وبعض حزب المثاني، تشتمل على معانٍ كلية مكونة من معانٍ جزئية، ثم نبه أن منهج التصنيف الكليّ للمعاني ثم تفصيلها منهج يحقق تيسير عقل المعرفة وإحكامها، لذلك على المتلقي الرشيد لا بد أن تكون له مهارتان [١]:

---

[١] السابق، ص ٢٤٥.

[٢] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٢٤٦ – ٢٤٧.

[٣] المعنى القرآني، ص ٢٤٤.

[٤] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٢٤٩ – ٢٥٠.

[١] ينظر: المعنى القرآني، ص ٢٥١ – ٢٥٢.

- مهارة الإجمال والإحكام والكليّة.
- مهارة التفصيل والتحليل.

ثم تحدث عن تدبر بناء كل معنى من المعاني الكلية المصرّفة في السور واستكشاف المقصود الأعظم لكل سورة، وهو استكشاف يملك به المتدبر بعض مفاتح خزائن المعنى القرآني في السورة، ثم أردفها بالنظر البياني في هذه المعاني الكلية المصرفة إلى أن ملاحظة بناء المعنى الكلي من المعاني الجزئية الماثلة في الجملة القرآنية على اختلاف إيجازًا وبسطًا، فهو لا يرى في ذلك تكرارا، بل يراه من قبيل التتميم والتكميل الذي هو وجه من وجوه التصريف البياني، لذلك وضع الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – أمورًا لا بد أن يقتضيها لدراسة التصريف البياني للمعنى الكلي في السور لاستكشاف مقاصد السور، وهي [1]:

- الاعتناء بمنهج التحليل البياني لصور المعاني.
- التبصر في كيفيات الاختلاف والاتفاق بين المعاني.
- التبصر بجهات الاجتماع والافتراق.
- التبصر في الأصل والفرع.

وذكر أن هذه الأمور من أصول النظر البلاغي في البيان، فبها يرى معالم الإحسان ومقتضياته وآثاره في نفوس المتلقين، وقد ذكر ما قاله الإمام عبد القاهر – رحمه الله – عن الفطرة الإنسانية في باب المعرفة، قال الإمام عبد القاهر: "ثم إن التوق إلى أن تقرّ الأمور قرارها وتوضع الأشياء مواضعها، والنزاع إلى بيان ما

---

[1] السابق، ص ٢٥٥.



يشكل، وحلّ ما ينعقد، والكشف عما يخفى..."[١]، وبيّن أن ما ذكره الإمام إنما هما شيء في سوس العقل وفي طباع النفس[٢]، وكما أن استخرج من كلام الإمام عبد القاهر ما يتم العمل به [٣]، وقد قسمه الشيخ محمود – حفظه الله – إلى خمس كليات، وهي [٤]:

١– بيان أمر المعاني في كيفية اختلافها واتفاقها.

٢– بيان أمر المعاني في جهة اجتماعها وافتراقها.

٣– تفصيل أجناسها وأنواعها.

٤– تتبع خاصّها ومُشَاعَها.

٥– بيان أحوالها في كرم مَنْصبها من العقل، وتمكنها في نصابه...

الرافد الرابع: تدبر المعاني الكلية الخاصة

وفي هذا الرافد ذكر أن هناك بعض المعاني الكلية قد خصّت به سورة معينة دون غيرها من سور القرآن الكريم، وذلك يحتاج إلى استبصار وتدبر لاكتشاف المعنى الكليّ للسورة.

إن الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – استخرج المعاني الكلية الخاصة لعدة سور، وهي:

البقرة	آل عمران	النساء	الكهف

(١) دلائل الإعجاز، ص ٣٤.

(٢) بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٢٥٥.

(٣) راجع أسرار البلاغة، ص ٢٦.

(٤) المعنى القرآني، ص ٢٥٦.

سأذكر المعاني الكلية الخاصة في سورة (البقرة)، وفي سورة (الكهف):

المعاني الكلية الخاصة في سورة البقرة:

اتسمت هذه السورة بوفرة المعاني الكلية الخاصة التي لم تردْ في غيرها من سور، وهي عشرة أمور أوردها الشيخ محمود – حفظه الله – [1]:

- تمثيل المنافقين بالمثلين المذكورين في مقدمة السورة.
- قصة البقرة.
- قصة هاروت وماروت.
- قصة تحويل القبلة.
- قصة طالوت وجالوت.
- قصة الذي أخرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذرَ الموت.
- قصة النمرود الذي حاج إبراهيم عليه السلام في ربه.
- قصة الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها.
- قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام والطير.
- فريضة الصيام، وبيان أحكامها، وأحكام المداينة والرهن.

وفي هذه المعاني الكليات الخاصة تحمل بداخلها المعنى المركزي للسورة وهو الإيمان المطلق بالغيب.

المعاني الكلية الخاصة في سورة الكهف:

---

(1) السابق، ص ٢٥٧ – ٢٥٨.



أن هذه السورة تميزت بأربع قصص، وهي[1]:

- قصة أصحاب الكهف.
- قصة العبد الصالح مع سيدنا موسى عليه السلام.
- قصة صاحب الجنتين.
- قصة ذي القرنين.

وفي هذه المعاني الكلية الخاصة تحمل ما بداخلها الغرض المحوري، وهو يتمثل في قوله تعالى: ﴿ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ ﴾ [الكهف: ١٦]، إن في هذه الآية رابط يربط بين تلك القصص، ويجعلها أشد تناسبًا بمقصودها الأعظم، حيث إن كهف هذه الأمة هو ما استفتحت به السورة الحمد الله الذي أنزله على عبده ﷺ القرآن، فمن دخله كان آمنًا، كما أمِن أصحاب الكهف، وأصحاب السفينة، وأبو الغلام القتيل، والغلامان صاحبا الكنز، أصحاب الرّدم، ومن لم يدخله هلك كما هلك صاحب الجنتين، والغلام القتيل، وفي كل ذلك عبرة وموعظة من تلك القصص للحذر من الوقوع في الفتن.

الرافد الخامس: تدبر الفروق البيانية بين المعاني الجزئية المصرّفة في السور

أن القصد في هذا الرافد هو استكشاف المقصود الأعظم للسور التي توارد فيها التشابه، فلا يقصد التشابه اللفظي والنظمي، وإنما التشابه الذي هو عامل من عوامل الإبانة عن ذلك المقصود؛ لأن بين تلك المعاني وصورها وجوه اتفاق وافتراق تنكشف معالمه في ضوء السياق الجزئي الذي هو امتداد السياق الأكبر الكليّ، وطبق ذلك على قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ

---

[1] المعنى القرآني، ص ٢٦٣.



عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١]، فقد تدبر الفرق البياني بين المعاني الجزئية في هاتين الآتين، وبيّن أن فيهما شيئًا من تصريف المعاني ومشتبه النظم، وأول ما وقف عليه اختلاف القراءات، ففي قوله: ﴿وَسَارِعُوا﴾ تقرأ في بعض القراءات بواو العطف وغيرها تقرأ بدون الواو. وبيّن أيضًا في قوله تعالى: ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ جاءت بدون أداة تشبيه مع جمع السماء، وأشار أن قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، تقابل قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾، ثم بيّن أن ﴿سَابِقُوا﴾ جاءت في العشر قراءات بدون عطف–، وأن في قوله تعالى: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أداة تشبيه مع ذكر المشبه المضاف: (عرض) وأفراد المضاف إليه (السماء) [١].

وذكر الفرق بين هاتين الآيتين، وبيّن أن كل كلمة اصطفاها الله سبحانه وتعالى هي الأنسب في سياقها، وسأوضح ذلك باختصار عما ذكره الشيخ محمود – حفظه الله – [٢]:

في آية سورة آل عمران كان الأمر بالمسارعة، وكانت الجنة الموعود بها عرضها السماوات والأرض، وكانت الجنة للمتقين، وبيّن أن مقصودها الأعظم هو التوحيد بالله وتعظيم فضله، وبيّن أنها سورة المصطفين الأخيار ومن صفاتهم: (التقوى والصبر).

وأن هذه الآية جاءت عقب بيان أسباب النصر وأسباب الخذلان، وهما أهم أسبابه الاقبال على الدنيا، وعقب الأمر بما تضمن الفوز والنجاة، فجاء الأمر بالمسارعة إلى

---

[١] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٢٦٧.

[٢] ينظر: المعنى القرآني، ص ٢٦٨ – ٢٦٩.



المغفرة وإلى جنة عرضها السماوات والأرض، وأن هذه الجنة أعدت للمتقين الذين يتخلّون عن الأموال وجميع مفاتن الدنيا؛ لذلك جاء بالمسارعة لأن بها دلالة على جهد النّفس والسرعة وقوة الاجتهاد، وهذه المسارعة تتناسب مع من أعدت لهم الجنة؛ لأنهم قد بلغوا في التقوى مبلغا فصارت التقوى صفة لهم. وكما أن تتطرق إلى سبب حذف أداة التشبيه في هذه الآية وحذف المضاف (عرض)، والسبب في ذلك لأن في هذه الآية إبلاغا في وصف ما أعد للمتقين يتناسب مع سياق السورة القائم وهو الإبلاغ في تحقيق وحدانية الله سبحانه وتعالى.

وفي آية سورة الحديد كان الأمر بالمسابقة، وكانت الجنة الموعود بها عرضها كعرض السماء والأرض، وكانت الجنة للذين آمنوا، وبيّن أن مقصودها الأعظم هو الإيمان بالله ورسوله ﷺ، لذلك تجد السياق الكليّ يدفع بطائفة ليست على المستوى الإيماني العليّ، لذلك دعاهم بالمسابقة.

وبيّن لك أن جنة المتقين غير جنة الذين آمنوا، فجنة الذين آمنوا غير جنة المتقين؛ لأن أصحاب هذه الجنة تجد فيهم رغبة في الحياة الدنيا.

الرافد السادس: تكرار النمط التركيبي في سياق السورة

فقد بيّن في هذا الرافد أن يكون في بعض سور القرآن الكريم إعادة بعض الجمل وتكرارها، وتكون على نهج متميز لا يكون في غيرها، وهذا التكرار يزيد المعنى في مضمونها وسياقها الكليّ وفي مقصودها الأعظم، وقد جعل العنصر التركيبي على ضربين، وهما [1]:

التكرار النظمي، قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٣].

---

[1] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٢٧١ – ٢٧٢.



- التصريف النظمي الذي تكون فيه إعادة نمط التركيب في بعض مفرداته.

الرافد السابع: المعجم الكلمي.

وقد قصد بهذا الرافد أن ينظر إلى الكلمات التي اشتملت عليها السورة، وكانت بها سمتان [(١)]:

١- كثرة التوارد فيها مادة أو صيغة أو مدلولًا.

٢- تفرد الكلمة وندرتها مادة أو صيغة أو مدلولًا، حيث إنها لم ترد في غيرها.

وكما أنه صنف المعجم الكلمي إلى صنفين من حيث العلاقة بين الكَلِم [(٢)]:

الصنف الأول: يشمل الكلمات التي تنتمي إلى جذر لغوي واحد، أو أسرة دلالية واحدة.

إن الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – تدبر سورة البقرة واستخرج منها مفردات تخرج من رحم المقصود الأعظم، ومفردات تتجاوب مع مفردات مطلع السورة، وسأوضح ذلك في الجدول الآتي[(٣)]:

المفردة	عدد مرات تكرارها
الإيمان	٧٤ مرة
التقوى	٣٦ مرة
الهدى	٣٠ مرة

---

(١) ينظر: المعنى القرآني، ص ٢٧٣.

(٢) السابق، ص ٢٧٣.

(٣) المعنى القرآني، ص ٢٧٥.



الخير	٢٧ مرة
الإحسان	١٢ مرة
الصلاة	١٢ مرة
الزكاة	٥ مرات
الإنفاق	٢٠ مرة
الصيام	٦ مرات
الحج والاعتمار	١٠ مرات
القتال والجهاد	٦ مرات
اسم أبي الأنبياء إبراهيم – عليه السلام –	١٥ مرة

الصنف الآخر: الفرائد

أن تدبر فرائد المفردات في البيان القرآني ذو عون على حسن فقه المعاني الإحسانية التي يتصاعد بها العبد في مقامات القرب الأقدس، وقد جاء بفرائد المفردات التي جاءت في سورة البقرة [١]:

المفردات	يسفك	فاقع	اعتمر	العمرة	انفصام	صفوان	وابل	طل	يتخبط	يربي

[١] السابق، ص ٢٧٩.

٤ – ٤ المعقد الثالث: تقسيم السور إلى معاقد كلية

لقد بدأ هذا المعقد بحديثه عن أهل العلم، وكيف وقفوا على موضوعات البيان القرآني المتعددة، لذلك أقام هذا المعقد على تقسيم السورة إلى معاقد كلية، ثم ربط هذه المعاقد بمقصودها الأعظم، فتراه يقول: "كل سور القرآن الكريم ولا سيما الطوال والمئين والمثاني إنما هي ذات معانٍ كلية، تمثّل معاقد لبناء السورة الكليّ، وتحرير معالم هذه المعاقد مبتدأً ومنتهًى وترتيبًا، وما هو عمود أمر هذا الترتيب إنما يقع عليه المرء من طول قراءة ونظر وتبصر في السورة، به يصبح المعنى الكليّ للسورة مستحضرًا في قلب القارئ، فيَتأتى له إبصار تلك المعالم، ثم تحديدها "[(١)].

وقد أشار إلى أمر ذي أهمية بالغة وهو الوقوف على مدارج المعنى القرآني في السورة الذي تتحقق به معرفة حركة المعنى في سياقها، ومعرفة مواقع هذه المعاني الكلية في السورة على مدرجة المعنى القرآني[(٢)].

<u>وقد طبق الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – هذا المعقد على ثلاث سور</u>، وهي: البقرة – يوسف – النحل، وقد أطال في تطبيقيه لسورة النحل.

وقبل تطبيقه جاء ببيان أساس تقسيمه إلى معاقد، حتى يجعل القارئ على بيّنة، وأبان فيه أن تقسيم السورة إلى معاقد أساسه تآخي المعاني الجزئية وتناغيها في تشكيل وحدة كلية تربط بما يسبقها وبما يلحقها، وأن تقسيمه يبيّن لصاحب القرآن مقدمة السورة ومفتتحها ومؤخرتها ومختتمها وما جرى بينهما من معاقد، وموقع قلب السورة [(١)].

---

(١) المعنى القرآني، ص ٢٨٩.

(٢) السابق، ص ٢٩٠.

(١) السابق، ص ٢٩٠.



سأذكر تطبيقه في سورة البقرة:

أول ما وقف عليه الشيخ محمود – حفظه الله – اسم السورة، وبيّن أن لسورة البقرة أسماء توقيفية، وهي: البقرة – سنام القرآن – فسطاط القرآن، ثم ذكر أن نزول آياتها امتدّ سنين عدادًا وامتدادًا، وبيّن أن المرء يحتاج الوعي بتناسق موضوعاتها حتى يكون فؤاده مقتدرًا على ترقب حركة المعاني [١].

وقسم السورة إلى [٢]:

الفاتحة الاستهلالية	الآيتان الأوليان
المقدمة	العشرون الآية الأولى
متن السورة	ثلاثٌ وأربعون ومئتا آية
الخاتمة	الآيات الثلاث الأخيرة

وقد قسم السورة إلى مقدمة وقسمين كبيرين وخاتمة [٣]:

- **المقدمة من آية ١ إلى ٢٠.**
- **القسمين الكبيرين [١]:**

---

[١] بتصرف من المعنى القرآني، ص ٢٩١.

[٢] ينظر: المعنى القرآني، ص ٢٩٢.

[٣] إن هذا التقسيم يختلف عن التقسيم الذي طرحه أعلاه؛ لأنه جعل هذا التقسيم خاصا بالمعاقد الكلية للسورة، وبه استفاد بتقسيم الشيخ محمد عبدالله دراز.

[١] ينظر: المعنى القرآني، ص ٢٩٣ – ٢٩٦.

القسم الأول:

يمثل في ١٤٦ آية، من قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ **[البقرة: ٢١]، إلى آخر قوله تعالى:** ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾**[البقرة: ١٦٧].**

أن هذا القسم اشتمل على قضايا العقيدة الإسلامية ومسائلها، وأن آيات هذا القسم تنقسم إلى عقدين[1]:

١- يتمثل من بداية قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ **، إلى آخر قوله تعالى:** ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ **[البقرة: ٣٩]، وبحيث أن المعنى الكليّ لهذا العقد هو دعوة الناس كافة إلى الإسلام، وذكر ما جاء في هذا العقد من قصص تصب في نفس مقصودها الأعظم، فقد جاءت قصة سيدنا آدم عليه السلام بعد أن أنكر عليه الكفر بالله سبحانه وتعالى، وجاء بالبعث بعد الموت، وكل ذلك يصب في مقصودها الأعظم وهو الإيمان بالغيب، وقد بيّن سبب اختتام هذا العقد بهذه الآية:** ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ **، لأن في قصة سيدنا آدم عليه السلام ذكر استكبار الشيطان وأنه كفر، وقال:** ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ **[ص: ٨٢]، فهو لن يرضى إلا أن يكونوا مثله ؛ لذلك ختم هذا العقد بهذه الآية حتى يكون في ذلك تقرير بالترهيب من الإعراض عما دعا إليه سبحانه وتعالى في مفتتح هذا العقد.**

---

[1] السابق، ص ٢٩٣ – ٢٩٤.



٢- يتمثل من بداية قوله تعالى﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠]، **إلى آخر قوله تعالى:** ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ **[البقرة: ١٦٧]، وبيّن أن المعنى الكلي في هذا العقد هو دعوة أهل الكتاب خاصة إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، وبيّن التشابه في هذين العقدين في الابتداء والانتهاء، حيث إن العقد الأول دعا الناس كافة إلى الإسلام، ثم جاء بعد العقد الثاني بدعوة أهل الكتاب خاصة؛ لأنهم أحق الناس بالاستجابة لهذه الدعوة.**

القسم الثاني:

يتمثل من بداية قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ **[البقرة: ١٦٨]، إلى آخر قوله تعالى**﴿ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ **[البقرة: ٢٨٣]، وهذا القسم اشتمل على بيان أحكام الشريعة لتكتمل بها صورة الإسلام، وأن استهلال هذا القسم يدعو الناس كافة أن يأكلوا مما في الأرض، ولكن مما أحلّه الله علينا، ونبتعد عن خطوات الشيطان حتى لا نقع فيما يكرهه الله سبحانه وتعالى، لذلك توالت تشريعات ما أحله الله سبحانه وتعالى من الطعام، وبيان البرّ وصوره، وأحكام القصاص ليحقق الأمن بعد طيب المطعم، وأحكام الصيام، والجهاد، والحج، والإنفاق، والقتال في الأشهر الحرم، والخمر والميسر، وأحكام الأسرة، وأحكام المعاملات المالية، ثم ختم بأطول آية في القرآن، وهي آية المداينة.**

- **الخاتمة:**

وهي الآيات الثلاث الأخيرة، قال تعالى ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ **[البقرة: ٢٨٤ – ٢٨٦]، وبيّن أن ما اختتمت به السورة هو رد عجزها على صدرها الذي اشتملت على صفات المتقين، فتلاقي حديثه عن المؤمنين في ختامها، ثم بيّن لك أنك كلما تدبرت واستبصرت في الصورة زاد إيمانك، وتتكاثر فيك عطاءات معاني الهدى في فؤادك وتتصاعد بك إلى مقامات القرب الأقدس [١].**

ثم ختم حديثه بأن هذه التقسيمات هي أساس التدبر لتجعلك تستبصر العلاقات بين معاني السورة، وتجعلك تدرك حركة المعنى القرآني، وتجعلك تدرك مقصودها الأعظم، حتى تدرك مدى تلاحم معاني الآيات ببعضها البعض، وهذا وجه من وجوه إعجازه سبحانه وتعالى.

---

[١] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٢٩٧.



٥ – ٤ المعقد الرابع: تقسيم المعقد إلى نجوم وعلاقتها بالغرض المرحلي للمعقد

لم يطل الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – في هذا المعقد، ولكن ذكر باقتضاب شديد أن كل معقد يحتوي على نجوم من الآيات، وأن لكل معقد من السورة غرضًا مرحليًا يصب للغرض المحوري للسورة، وقد طبق هذا المعقد على ثلاث سور، وهي: الفاتحة – الضحى – البقرة [١].

وسأذكر ما طبقه في سورة البقرة:

وقد سبق ذكر تقسيم السورة البقرة إلى: مقدمة وقسمين كبيرين وخاتمة، فهو اعتمد في تطبيقه لهذا المعقد قائم على القسمين الكبيرين، حيث ذكر أن هذه المعاقد مكونة من نجوم مكونة من آيات من جمل، حيث إن بين تلك المكونات علاقة نسب وثيقة، قد تكون ظاهرة أحيانا وقد تكون خفية أحيانا، ولكنها حاضرة لا تغيب [٢].

القسم الأول: قد سبق وبيّن المعنى الكليّ لهذا المعقد وهو قضايا العقيدة الإسلامية وقضايا العلاقة بين العبد وخالقه سبحانه وتعالى.

القسم الثاني: وقد سبق وبيّن المعنى الكليّ لهذا المعقد وهو أحكام الشريعة الإسلامية وقضايا ومسائل بين العبد وربه سبحانه وتعالى.

وذلك من آية ١٦٨ إلى آية ٢٨٣، فإن كل قسم منهما ذو معاقد، وكل معقد ذو نجوم من آيات، طبق ذلك على القسم الثاني من متن سورة البقرة، وخاصة في أحكام العلاقات المالية، بدءًا من قوله تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

[١] ينظر: المعنى القرآني، ص ٣٧١ – ٣٧٢.

[٢] السابق، ص ٣٧٨.



[البقرة: ٢٦١]، تنتهي إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٣] (١).

حيث إن آيات هذا المعقد تناولت أحكام الشريعة في عدة قضايا، وهي: الصدقة – الربا – الدّين والبيع، وبيّن لك علاقات التقابل بين الآيات، وسأوضحها في الجدول الآتي (٢):

آيات الصدقة	آيات الربا
تصرفٌ من عبد يؤمن بالغيب، لا يتطلع إلى رأس ما ينفقه لأنه مؤمن باغتناء الله الواسع من مثوبة.	لا ينظر إلا إلى ما يريد أن يحصده ممن أقرضه جامعًا بين رأس ما أعطى والزيادة عليه المشروطة.
آيات الربا	آية المداينة
قرض ربوي بزيادة مشروطة على الأصل.	قرض حسن.
آيات البيع	آيات الرهن
الأخذ مقابل الدفع لغرض التمليك، وله حق التصرف.	أخذ رهن موقوت بإرجاع المال المقابل، ولا ينتفع بما أخذه، وليس له حق التصرف فيه.

٦ – ٤ المعقد الخامس: التحليل البياني في ضوء السياق والمغزى

(١) السابق، ص ٣٧٨ – ٣٧٩.

(٢) السابق، ص ٣٨١.



إن تحليل البناء التركيبي للسورة الذي سبق هو القادر على إضاءة السورة داخليًا، وأن المغزى هو الحاكم لحركة المعنى القرآني في السورة، وذلك يفضي إلى ضبط النفس في تلقيها لهذا المعنى على نحو يحقق بأمرين[1]:

١- اكتساب مضمونين:

- المضمون التشريعي ببعديه: (العقدي) الذي يتمثل في علاقة المرء بربه سبحانه وتعالى، و(السلوكي) الذي يتمثل في علاقة المرء بالحياة.
- المضمون التثقيفي المحقق له قنوتًا، وإسلام وجه في موقفه من المضمون (العقدي والسلوكي).

٢- القناعة والرضا القلبي، والتلذذ بالعبودية لله رب العالمين.

مفهوم التحليل البياني:

فهو يتكون من عنصرين: البيان والتحليل.

وقد عرف البيان: بأنه مصطلح وظيفي لما يفصح عنه المرء بما هو مكنون في فؤاده على تنوع ذلك المكنون في جنسه ونوعه وقدره [2].

وأما التحليل: هو السعي إلى رؤية الأشياء المكوّن منها الكلّ في علاقات خاصة على هيئة خاصة، تُوجِبُهُما عوامل داخلية وخارجية [1].

وقد عرف التحليل البياني: بأنه سعيٌ إلى رؤية الأشياء المكون منها البيان في وجوده التركيبي الكليّ في علاقات خاصة بين المكونات المتنوعة في ذاتها ووظائفها،

---

[1] المعني القرآني، ص ٣٨٣.

[2] السابق، ص ٣٨٤.

[1] السابق، ص ٣٨٥.

وجعلها على هيئة خاصة، تُوجِبُهُما العوامل الداخلية والخارجية من البيان، أو من صانعه كشفًا عن مدى أثر السياق والمغزى في الاختيار والاتساق والانسجام بين مكونات البيان [١].

وفصّل القول في مكونات التعريف، وقسمه إلى سبعة أقسام [٢]:

١- سعيٌ إلى رؤية الأشياء المكون منها البيان.

٢- في وجوده التركيبي الكليّ.

٣- في علاقات خاصة بين المكونات.

٤- متنوعة في ذاتها ووظائفها.

٥- جعلها على هيئة خاصة.

٦- تُوجِبُهُما العوامل الداخلية والخارجية من البيان أو من صانعه.

٧- كشف عن مدى أثر السياق والمغزى في الاختيار والاتساق والانسجام بين مكونات البيان.

وقد جعل المكونات الثلاث الأُوَل هي عمود الأمر، وأن المكونات الثلاث التي تليها هي شروط الصحة، وأن المكون الأخير هو بيان القيمة الوظيفية للتحليل البياني.

- مجالات التحليل البياني:

إن السورة القرآنية في وجودها اللغوي، الذي يتمثل في صورة المعنى القرآني مكونة من عدة عناصر متنوعة، حيث إن البيان يتحقق وجوده الكليّ بتمازج عناصره

---

(١) السابق.

(٢) السابق، ص ٣٨٦.



اللفظية والمعنوية.

وبيّن لك أن دراسة البيان لا تتأتى لك إلا باستقصاء التحليل الذي يجعلك تدرس كل عنصر في ذاته وفي وجود سياقه الجمعي؛ لأن التحليل البياني لصورة المعنى القرآني يحتاج إلى ثلاثة مجالات، وكل مجال منها يغريك تدبره زادًا إلى تدبر ما بعده من المجالات المتصاعدة، وهذا وجه من وجوه إعجازه، وقد جعل للتحليل البياني في المعنى القرآني ثلاثة مجالات كلية [(١)]:

١- علاقات المعاني ومواقعها.

٢- بناء صورة المعنى.

٣- دلالة صورة المعنى ومستويات دلالتها عليه، وأثر ذلك في المعنى ومتلقيه.

وقد نبه إلى أن ذلك لا يتحقق إلا إذا كان الغرض المحوري حاضرًا في الوعي. وفصّل القول في كل مجال من المجالات الآتية:

المجال الأول: تحليل علاقات المعاني ومواقعها على مستوى بنية (المعقد، والنجم، والآية)، وبيّن أن البلاغيين اعتنوا بهذا المجال، وخاصة في باب الفصل والوصل، والتقديم والتأخير، وبعض فنون البديع، منها (الاحتباك، اللف والنشر، الجمع والتقسيم والمقابلة...)، ونحو ذلك مما يرجع الأمر إلى العلاقات والوشائج بين مكونات البيان، وكما أنه بيّن لك أن العلاقات بين المعاني هي التي تحقق للبيان وجوده الكلاميّ، أي تحيله من كونه بيانًا إلى كونه كلامًا ذا أثرٍ في من يتلقاه؛ لأن لكل كلمة في وجودها الجملي تحمل معنى للجملة في وجودها الأعلى يأخذ من سباقه ولحاقه، لذلك تجد أن كلمة في الجملة لا تُفهم إلا في ضوء علاقتها بأخواتها في

---

(١) السابق، ص ٣٩٩.



الجملة، وذلك يهدي إلى أن ما من جملة يفهم معناها إلا في ضوء علاقتها بأخواتها من الجمل في الآية [(١)].

وقد وضح الشيخ محمد أبو موسى – حفظه الله – القول في تلك العلاقات التي تستخرج من المعاني المضمرة في الكلمة: "أن هذه الروابط والعلاقات وسائل ناجحة في الوصول إلى عمق الكلمة حتى يستخرج منها ما لم يستخرجه غيره..." [(٢)].

وقد أشار الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – إلى أن تنوع العلاقات بين الكلم والجمل في صورة المعنى يرتبط بتنوع المعاني واتساعها في فؤاد المتدبر، حيث إنك تجد المعنى في فؤاد المتدبر يتجدد بتجدد محاولات الاجتهاد في التدبر، وذلك ينمي مهاراته وخبراته في التلقي، لذلك سبق وأشار لك في مبحث خصائص المعنى إلى وجودين كليين للمعنى: وجود داخل النص، وجود داخل فؤاد المتلقي الرشيد [(٣)].

وقد أثبت لك تعدد رؤية المتلقي الذي أدى إلى تنوع المعنى في فؤاده، بتدبره في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ① ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ② ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ③ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ④ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ⑤ ﴾ **[البقرة: ١ – ٥]، وبيّن لك لو أنك التفت إلى اسم الإشارة (ذلك) <u>فلك أن تذهب إلى معنين، هما[(١)]:</u>**

---

(١) بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٤٠٠ – ٤٠١.

(٢) مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ص ٥٨.

(٣) بتصرف من، المعنى القرآني، ص ٤٠٣ – ٤٠٥.

(١) السابق، ص ٤٠٥.



١- أن تجعل مرجع اسم الإشارة إلى ما في قوله تعالى من سورة الفاتحة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦].

٢- أن تجعل مرجع اسم الإشارة (آلم).

وأفصح لك عن المعنى المُرجّح وهو الأول لأنه الأوفر عطاءً يتوافد في فؤادك.

وكذلك وقف على كلمة (الكتاب)، وبيّن لك أنك إذا جعلت (الكتاب) خبرًا يكون المعنى غيره إذا ما جعلته بدلًا، ويكون قوله (لا ريب فيه) خبرًا أولًا عن اسم الإشارة، أو خبرًا ثانيًا عن (ذلك).

وكذلك إذا ما جعلت قوله تعالى: ﴿ فِيهِ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] خبرًا، ويكون العطاء غيره إذا ما جعلت (فيه) خبرًا لـ (لا) [١].

وكل ذلك يدل على التصريف في العلاقات بين الكلم والجمل، فيتسع المعنى في فؤادك، وتكثر فيه العطاءات.

المجال الثاني: تحليل بناء صورة المعنى.

وقد قصد في هذا المجال هو الاستبصار في بناء صورة المعنى، وذلك لا يتوقف على العلاقات بين المعاني، بل يتعدى ذلك إلى النظر في مكونات مادة الكلمة وصيغتها وجرسها، ثم قسم مكونات بناء صورة المعنى إلى ضربين، هما: الكلمات – العلاقات، حيث إن الكلمات هي أصول مواد الكلم في العربية يمكن حصرها وإحصاؤها وتتمثل في خصيصة الاشتقاق، وبيّن أن للكلمات وجودين، هما: وجود فردي – ووجود جمعي، فالعقل البلاغي ينظر في مدارسة الوجودين، بأن الوجود الفردي

---

[١] المعنى القرآني، ص ٤٠٥ – ٤٠٦.



(اللغوي) خدمة لنظره لها في وجودها الكلامي (السياقي) [١].

<u>إن هناك وجوهًا في التحليل البياني لصورة المعنى، وهي:</u>

١– التحليل البياني للكلم.

٢– التحليل البياني للتراكيب.

٣– التحليل البياني لإيقاع الكلم والتراكيب.

وقد فصل القول في كل وجه منهم على حدة:

أولا: التحليل البياني للكلم.

وأشار فيه إلى أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن اللفظية، ومن العلوم اللفظية في تحقيق الألفاظ المفردة، التي تجعلك تحصل على معاني مفردات القرآن، وذلك يحتاج إلى تفصيل أكثر وجهد أكبر، فيجبُ عليك أن تسير على ما ذكره الشيخ محمود توفيق – حفظه الله –، <u>وسأبيّن لك ما ذكره في هذه الخطوات لتكون على بصيرة من أمرك:</u>

١– أن ترصد الكلم وفق ما ينطق به الأداء الصحيح لها وفق القراءات المسندة.
٢– أن تصنف الكلم على وفق أجناسها: اسم – فعل – حرف.
٣– أن تصنف الكلم على وفق صورها (صيغها).
٤– أن تنظر إلى الكلم في باب اشتقاقها الدلالي.

وكل ذلك يبيّن لك المعاني المتفقة معانيها ما بين المعاقد السورة، يظهر لك ما هو الأكثر حضورًا وما الأقل، حيث إن ذلك يهديك إلى خصوصية ما يجري إليه المعنى في السورة، وما يعينك على استجماع المعاني في فؤاد، وذلك يقودك إلى

---

[١] ينظر: المعنى القرآني، ص ٤٢٢ – ٤٢٧.



المقصود الأعظم فيها.

ثم نبه إلى أن العقل البلاغي قادر على استبصار إمكانات الكلم في البيان القرآني في سياقه المديد، وفي سياق كل سورة، استبصار مقتضياته وتأثيراته في التلقي[١].

وتجد أن حظ الصورة في بناء المعنى أكبر من حظ المعنى في ذلك، وقد استخرج ذلك من خلال تدبره لنص الإمام عبد القاهر الجرجاني هذا: "ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات[٢] وسائر ما يجري مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة، وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين، وآنق وأعجب، وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب، وأولى بأن تطلق لسان الحامد، وتطيل رغم الحاسد. ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، ويختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلاً، ويظهر فيه مزية " [٣].

<u>ثم استخرج لك من نص الإمام عبد القاهر أن نعوت الصورة أربعة في فعلها، وهي [٤]:</u>

أحق أن تستولي على هوى نفس، تنال الحظ الأوفر من ميل القلوب، أولى بأن تطلق لسان الحامد، تطيل رغم الحاسد، حيث إن يكون المتكلم مُفهِمًا والمتلقي متفهّمًا.

---

(١) المعنى القرآني، ص ٤٣٠.

(٢) أي: البلاغة والفصاحة.

(٣) بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٤٣٣.

(٤) ينظر: المعنى القرآني، ص ٤٣٤.

وبيّن لك أن هذا اللفظ – الصورة – لا بد أن يتم اختياره على خمسة أسس، وهي [١]:

أن يكون أخص بالمعنى، حيث إن كل لفظ هو أخص بمقامه، فلا يأتي لفظ آخر ويحل محله – أن يكون اللفظ أكشف عن معناه، وذلك بحسن دلالته عليه – أن يكون اللفظ أتم للمعنى، حيث يحيط بدقائقه ورقائقه، حتى يقوم على الإيفاء بحق للمعنى المراد – أن يكون أحرى بأن يكسب المعنى نبلا – وأن يكون اللفظ أحرى بأن يظهر في المعنى مزية خبيئة لا تظهر بغيره.

ثم تبيّن له أن الأساس الخامس يتجاوب مع الأساس الثاني، وأن الأساس الرابع يتجاوب مع الأساس الثالث، وأن الأساس الأول هو رأس الصفات وأولها؛ لأن إدراك الأخص لا يكون إلا بالنظر في البدائل المتقاربة، وبقية الأُسس العيار لحسن اختيار الموقع والسياق [٢].

وفي تحليل سور القرآن لا بد أن تُوجِبَ النظر لمثل تلك الاصطفاءات والاستخدامات القرآنية لهذه الكلمات، وهذا هو عمل الدرس البلاغي في اكتشاف تناسب الكلمة القرآنية وتناسقها في سياقها [٣].

ثانيًا: التحليل البياني للتراكيب.

وأبان فيه أن التحليل البياني في البيان القرآني وتراكيب عباراته القائمة على تمام المعنى، فيرتكز ما يرتكز عليه التحليل البلاغي في تحقيق بلاغة العبارة وعمودها، ثم

---

[١] السابق، ص ٤٣٥.

[٢] المعنى القرآني، ص ٤٣٨.

[٣] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٤٤٠.



يرتكز إلى ما يحقق لها تمامها[١].

عرف عمود بلاغة الكلام: بأنه هو نظم العبارة من الكلم على وفق مناهج نحو العربية [٢].

وقد عرف الخطابي من قبله عمود البلاغة وهو: " وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به " [٣].

فتجد أن الخطابي كان أكثر تفصيلًا في تعريفه لعمود البلاغة وأكثر تحديدًا، بينما تعريف الشيخ محمود – حفظه الله – كان أكثر عمومًا، لأنه أراد أن يشير أن عمود البلاغة هو كل ما جاء من نظم العبارة من الكلام على وفق ما ذكره أهل اللغة وأهل العلم، فهذا يدل على أن تعريف الشيخ يحمل بداخله تعريف الخطابي .

وقد وضح أنه إذا كان القرآن الكريم قد بنى سوره من آيات، فإن حدود بنية الآية لا تخضع ابتداء وانتهاء إلى معيار موضوعي من ظاهرة المعنى أو التركيب أو النسق الصوتي، بل من وراء ذلك تعجز عقولنا عن وعيه أو عباراتنا عن بيانه، فيجعلك تنظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ **[الشعراء: ٩٢ – ٩٨]، ويستخلص من تدبره بها ويقول: "فإنك لا تراه قائما على معيار من تمام معنى أو اتساق تركيب، وعلى هذا لا يطّرد اتخاذ الآية إطارًا لتحليل التراكيب، بل الأقرب اتخاذ الجملة، ثم العبارات ذات**

---

[١] السابق، ص ٤٤٥.

[٢] السابق.

[٣] بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، تحقيق : محمد خلف الله – محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م، ص ٢٩.

الجمل المنسوقة على نهج يحقق للمعنى تمامه" [١].

وذكر أن الإمام عبد القاهر كشف لك عن عمود البلاغة: "اعلم أنْ ليسَ النظمُ إلا أن تضعَ كلامكَ الوضعَ الذي يَقتضيهِ (علمُ النحو)، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَه التي نُهِجتْ فلا تزيغَ عنها، وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك٤، فلا تُخِلَّ بشيءٍ منها، وذلك أنَّا لا نَعلم شيئاً يبتغيهِ الناظمُ بنَظْمه غيرَ أنَ ينظرَ في وُجوهِ كلَّ بابٍ وفُروقهِ..."[٢]، ومن تبصره بكلام الإمام عبد القاهر استخرج منه ما يرشدك إلى أصول يبنى عليها تركيب الجملة من الكلم، والعبارة من الجملة، وأنه لا يقف عن نمط من الأنماط، بل يتناول الموقع كما في التقديم والتأخير، وتتناول هيئة الكلمة كما في التنكير والتعريف، وتتناول العلائق بين المكونات[٣].

وقد ذكر قول الإمام عبد القاهر: "اعلم أن ليست المزيّة بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض" [٤]، حيث إن المزية لا تتوقف على معاني النحو من حيث هي في ذاتها، وإنما المزية ترجع إلى إصابة المعاني في مواقعها ومقامتها وسياقها.

<u>وقد تبيّن للشيخ محمود توفيق – حفظه الله – أن أصل المزية في تلك الوجوه والفروق والأنماط التركيبية تتجسد في ثلاث مثابات، وهي[١]:</u>

---

[١] المعنى القرآني، ص ٤٤٥.

[٢] دلائل الإعجاز، ص ٨١.

[٣] ينظر: المعنى القرآني، ص ٤٤٥.

[٤] دلائل الإعجاز، ص ٨٧.

[١] المعنى القرآني، ص ٤٤٨.



- المعنى وغرض الموضوع له الكلام.
- موقع الوجوه والفروق (الخصائص) بعضها من بعض.
- استعمال بعضها (الخصائص) مع بعض.

ثالثًا: التحليل البياني للنغم.

وذكر فيه مقومات التغني بالقرآن الكريم، وأنه حث على التغني به دليلا على ما قاله الرسول ﷺ لأبي موسى، "عَنْ أَبِي مُوسَى – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي مُوسَى: لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ! لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا من مزامير آل داود"[1]، ثم يجعلك تتبصر فيما قاله ﷺ حتى تستشعر بنعمة حسن الترتيل من عظيم الفضل.

ثم بيّن أن للتغني رسالة خفية، وهي تزيين القرآن في صدور العباد، ليشتغلوا بالإصغاء إليه مرضاة لربهم – سبحانه وتعالى –، وأن التغني مناطه النغم الذي يحقق انسجام الجرس والإيقاع، وبيّن علاقة النغم بالمعنى والمغزى، حيث إن النغم يحقق المغزى في أفئدة المتلقين[2].

ثم تحدث عن مجال الإيقاع اللغـــوي، الذي يرتكـــز على أساس من علاقـــة التناظر والتقابل بين عناصـــره الجزئية ووحداته الكلية، وقد جاء بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ [النازعات: ٦ – ٨]، أن جرس الإيقاع الصوتي في الفواصل القرآنية يجعلك تستشعر بالمعنى وتقريره في

---

[1] صحيح مسلم، أبو الحسين النيسابوري، برقم (٧٩٣)، الجزء الأول، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ص ٥٤٦.

[2] المعنى القرآني، ص ٤٦٣.

النفس، وكما أنه وقف على إيقاع المعاني الذي يكون بين أنماط التراكيب والجمل وما بين الفصول والمعاقد من توازٍ وتقابل، حيث إن الإيقاع الصوتي أسرع في الإدراك من الإيقاع المعنوي [١].

المجال الثالث: التحليل البياني لدلالة الصورة على المعنى.

بدأ هذا المجال بتوطئة بمثابة التنبيه للمتلقي، على أنه لا يسارع في تأويل الكلم والتراكيب القرآنية، وأن يستفرغ أهل القرآن جهدهم الجمعي لا الفردي في العلم بدلالاته الحقيقة للكلم وتراكيبه، وأن الراغب في حسن فهم معانيه لا يعجز عنه فهمها، ولكنه يعجز أن يدرك الكيفيات، وأنه مكلف بفقه المعنى وغير مكلف بفقه الكيفيات [٢].

مفهوم دلالة الصورة على المعنى:

أن المفهوم الاصطلاحي للدلالة عامةً: هو كون الشيء الدال على حالٍ يلزم من العلم به بشيء آخر. وقد وضح أن هذا يدخل فيه الدال اللفظي أو غيره، وهذا هو الذي قصده الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – أن الدلالة اللفظية تتمثل في كون اللفظ إذا أرسل علم منه المعنى للعلم بوضع ذلك اللفظ لهذا المعنى وضعًا شخصيًا أو نوعيًا. أن الدال اللفظي قد يكون مفردًا أو مركبًا أيًا كان امتداد تركيبه، بدءًا من الجملة إلى النص، وأن المدلول هو المعنى سواء كان مفردًا أو مركبًا[١].

---

[١] السابق، ص ٤٧٧ – ٤٨٩.

[٢] السابق، ص ٤٩٠ – ٤٩٢.

[١] المعنى القرآني، ص ٤٩٣ – ٤٩٤.



للدلالة عدة جهات، وهي[١]:

١- من جهة نوع الدال.

٢- من جهة مستوى الظهور.

٣- من جهة الوضع الشخصي للألفاظ والنوعيّ للتراكيب.

٤- من جهة العموم والخصوص.

٥- من جهة الإطلاق والتقييد.

وقد أشار إلى أن النظر من جهة نوع الدال، وجد أن الدال قد يكون (النظم) أو (معنى النظم) أو (لازم النظم)، وبناءً على ذلك سار على مذهبين[٢]:

١- يمثله علماء الحنيفة، حيث يجعلون الدلالة بحسب نوع الدال، هي أربعة:

دلالة عبارة وهي دلالة النظم، ودلالة الإشارة، ودلالة الاقتضاء، ودلالة النص.

٢- يمثله سائر الفقهاء، وجعلوها على نوعين، وهما:

دلالة المنطوق، ودلالة المفهوم (مفهوم الموافقة، ومفهوم المخالفة).

أما النظر من جهة مستوى الدلالة الظاهرة أو الخفية، حيث إن علماء الحنيفة جعلوها على ضربين [١]:

١- الظاهر - النص - المفسر - المحكم.	٢- الخفي - المشكل - المجمل - المتشابه.

---

(١) السابق.

(٢) السابق.

(١) السابق، ص ٤٩٧.



أن هذه المستويات كلها تندرج تحت مصطلح البيان، فالبيان ما هو ظاهر وما هو خفي، وما هو خفي يتوصل إليه أهل التلقي بالتدبر في المتشابه، وقد أشار إلى علم البيان عند البلاغيين، حيث إنه علم مفهوم بدلالة الكلام على معناه من حيث مستويات جلائه، وعرف علم البيان عند البلاغيين بأنه هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، ونبه إلى أن علم البيان قصر على مستوى الظاهر، ونبه أيضًا إلى أن الأحرى في تحليل دلالة الصورة على المعنى، بألا نقصر الأمر على ما قصره البلاغيون في علم البيان، بل لا بد من النظر في جميع مستويات الدلالة[١].

وأما النظر من جهة مستوى الإحكام والاحتمال، بيّن أن قصده بالإحكام هو الإحكام قطعي الدلالة؛ لأن القرآن كله قطعي الثبوت، ومنه ما هو قطعي الدلالة، وبيّن أن الإحكام لا يعني أن هذا المعنى لا يتولد منه معانٍ كثيرة، بل ما من معنى من معاني القرآن الدال عليها النظم دلالة محكمة إلا وأنت تستولد من نظمه في سياقه القريب والمديد معانيَ جدّ عظيمة، وهذا يحتاج إلى مهارة التدبر والاستنباط [١].

أما النظر من جهة دلالة الصورة من حيث العموم والخصوص، وجد أن بعض الصور في سياقاتها تدل على معنى عام، قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] [٢].

وقد أشار إلى أن الإمام عبد القاهر بدأ بيانه عن حقيقة البلاغة وجوهرها ببيان

---

[١] بتصرف من: المعنى القرآني، ص ٤٩٨ – ٤٩٩.

[١] السابق، ص ٥٠٠ – ٥٠١.

[٢] السابق، ص ٥٠٢.



خصائص دلالة الصورة على المعنى، من قبل بيان الدال (الصورة)، وأوضح ما سار عليه الإمام عبد القاهر بأن دلالة البيان الذي يراد به الإبانة، أن تكون متسمة بثلاثة أمور: الحسن، والتمام، والتبرج، وكأن قيمة الصورة ليست في ذاتها فحسب، بل تتمثل في ذلك الذي يحقق لها وظيفتها، وأفضح أن وظيفتها هي الدلالة على المعنى والمغزى الذي هو طعمة الفؤاد[١].

ثم جاء بخصائص دلالة الصورة على المعنى، وهي [٢]:

حسن الدلالة، تمام الدلالة، إحكام الدلالة. وهذه الخصائص استنبطها من تدبره لنص الإمام عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله –.

ثم ختم هذا المعقد بأثر مجال القول في منهج التحليل البياني لدلالة الصورة على المعنى، وبيّن فيه أن على طالب العلم في تحليل دلالة الصورة على المعنى أن يجتهد في علمه بوجه الدلالة على المعنى وبجميع مستوياتها، وأن يجتهد في العلم بدلالة الصورة على ما لطف من المعاني ودق؛ لأن معاني البيان لا تتناهى [١].

وختم كتابه بزبدة البيان وسلافته، وأجمل فيه ما ذكره في كتابه.

٧ – ٤ منهجية عرضه للسور القرآنية تدبريًا وبلاغيًا

إن القول في منهجية عرضه للسور هي مثابة إجمال ما قام به في الشريح الثاني له، وكيف وقف على آيات الله تدبريًا وبلاغيًا.

أول ما أراده هو أن يمسك بيد المتلقي ويضع سورة الفاتحة بين يديه، حتى يدرك

---

[١] ينظر: المعنى القرآني، ص ٥٠٥.

[٢] السابق، ص ٥٠٦.

[١] السابق، ص ٥١٥.

ما فيها من أسرار ويدرك مدى عظمها، وقسمها إلى أصول، كما يلي:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ ﴿الرَّحِيمِ﴾ ﴿مَالِكِ﴾ ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿اهْدِنَا﴾ ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾،

حيث إن كل سورة أو كل آية من القرآن هي أصلٌ من أم القرآن، وهذا يحتاج إلى وقفة تدبرية عند قراءة أي سورةٍ من سور القرآن الكريم.

خطوات الشيخ محمود – حفظه الله – في عرضه للسور حتى يتوصل إلى المقصود الأعظم:

- **أن يتدبر السورة ويتأمل موقعها من أم الكتاب، ثم موقعها من سور حزبها، ثم يستخرج الطابع العام للسورة، ثم يُرجع آيات السورة إلى أصول المعنى القرآني المجملة في سورة الفاتحة.**
- **أن ينظر إلى اسم السورة؛ لأن مسماها يهدي إلى ما هو ذاتي وجوهري، والاسم يقودك إلى المعنى المركزي لها، كما فعل في سورة النمل.**
- **أن يطيل النظر في مطلع السورة، ويبيّن لك علاقة المطلع بالمقطع، كما فعل في سورة البقرة.**
- **أن يتدبر المعاني الجزئية والكلية في السورة.**
- **أن يمعن النظر في الأنماط التركيبية المتكررة؛ لأن التكرار يزيد المعنى في المضمون وسياقه حتى يهديك إلى المقصود الأعظم للسورة.**
- **أن يُفرد نظره إلى الكلمات التي اشتملت عليها السورة، من حيث الكثرة والندرة، كما فعل في سورة البقرة.**

- أن يقسم السورة إلى معاقد كلية، حيث إن كل معقد يقودك إلى المعنى المركزي للسورة.
- أن يقسم معاقد السورة إلى نجوم، ويبيّن لك علاقتها بالغرض المحوري.
- أن يحلل آيات السورة تحليلًا بيانيًا في ضوء السياق والمغزى، يندرج منها عدة تحليلات:

أ. التحليل البياني للكلم.

ب. التحليل البياني للتراكيب.

ج. التحليل البياني للنغم.

حيث إنه يقف على جمل الآيات ويقسمها، ثم يقف على مفردات الآية، ويبيّن لك سر اصطفاء الله سبحانه وتعالى عن اختياره لتلك الألفاظ، ويبيّن لك مواطن الحذف والذكر وغيرها من الأساليب البلاغية في الآية، ويكشف لك السر في ذلك، كما فعل في سورة آل عمران وسورة الحديد. وكما أنه نبه إلى أن عمل الدرس البلاغي عمل يكشف لك عن المقصود الأعظم للسورة، ويستخرج لك روابط العلاقة بين الكلم والجمل مع السورة بأكملها، وخاصة في تحليل علاقات المعاني ومواقعها على مستوى البنية من حيث المعقد والنجم والآية، فهذا عمل العقل البلاغي؛ لأن نظرته تكون متبصرة متدبرة في كل كلمة من البيان الشريف، لذلك المعنى الجامع بين مكونات البيان هو ذو نسب عريق في الفكر البلاغي.

تأمل كيف وقف على السور المبتدئة بالحمد، وهي خمس سور: (الفاتحة – الأنعام – الكهف – سبأ – فاطر)، حيث إن كل سورة جاءت على نعمة، سأوضحها

بالجدول التالي[1]:

الأنعام: نعمة الإيجاد الأول.	الكهف: نعمة الإبقاء الأول.
سبأ: نعمة الإيجاد الآخر – البعث.	فاطر: نعمة الإبقاء الآخر.
الفاتحة: حمدٌ على النعم كلها.	

وتأمل كيف تناول قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠]، فانظر كيف تدبر هذه الآية واستخرج منها الاسرار البلاغية المدفونة بها، فهو أفصح لك عن قول النبأ بقوله (في الأرض) ولم يقل: (إني جاعل من الأرض خليفة)، لأن ذلك فيه إشارة إلى أنه سيخلف آخرين كانوا فيها من قبل . ثم بيّن لك سر اصطفاء الله عز وجل لقوله: (خليفة)، ولم يقل سيدنا آدم – عليه السلام – باسمه، وذلك دليل على أنه خليفة الله – تعالى – في إنفاذ أحكام شرعه، وأنه سيخلف بعضه بعضا لأنه مخلوق متناسل . ثم بيّن لك أن في قوله (أتجعل فيها) استفهام خرج من معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي وهو الاستعلام والاستكشاف، وما أكد ذلك قول الملائكة: (ونحن نسبح بحمدك) هذا دليل أن السؤال جاء في معنى الاستعلام والاستكشاف لا الاعتراض، وكل ذلك عمل العقل البلاغي ولكن الشيخ محمود – حفظه الله – لم يأتي بها بالأسلوب التعليمي بأن في هذه الآية شيء من علم المعاني وغيره، بل جاءك بأسلوب يلامس فؤادك

[1] المعنى القرآني، ص ٢٤٢.



ويجعلك تتعجب من نظم البيان العالي [١].

وهذا العمل يحتاج إلى عينٍ متبصرة متدبرة، تستنبط المعاني الخفية في البيان الشريف، لذلك قال الشيخ محمود – حفظه الله –: "وقد كان من فرائض السامع أن يكون بليغًا حتى في سمعه حتى يكون قاضيًا للبيان حقه، فكما يوجبون على المتكلم بلاغة الإفهام، فإنهم يوجبون على المخاطب بلاغة الاستماع فهمًا، فبكل يتحقق للبيان ما يجب له عند كلّ" [٢].

وهذا يثبت لك عظمة عقلية الشيخ محمود توفيق – حفظه الله –؛ لأنه جعل العقل البلاغي آلة للعقل الأصولي في تحقيق غايته من قراءة البيان الشريف، حيث إن العقل البلاغي مانحٌ للعقل الأصولي القدرة على أن يستنبط من بيان الوحي ما هو مكنون، وأن العقل الأصولي مانح للعقل البلاغي الموضوعية في إنتاج المعنى واستثمار المعرفة، حيث وظف هذين العقلين في تدبر آيات القرآن الكريم التي تجد بها معاني إحسانية لا تتناهى ولا تدرك[٣].

---

[١] المعنى القرآني، ص ٥٣.

[٢] السابق، ص ١٥٥.

[٣] تمت الاستفادة من: سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة، محمود سعد، ص ٢١.

الفصل الثالث

- آليات التدبر للقرآن عند الشيخ محمود توفيق
- الظواهر اللغوية
- المعجم اللغوي
- فقه الاستنباط وسبله
- السياق

١ – ٥ آليات التدبر عند الشيخ محمود توفيق

٢ – ٥ الظواهر اللغوية:

وهي الظواهر التي استخدمها الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – في كتابه للوصول إلى المعنى القرآني، وسأبيّن بعضٌ من هذه الظواهر في الجدول الآتي:

رقم الصفحة	الظاهرة اللغوية	نوعها	ملاحظات
٧	الدنيوي . الأخروي	تضاد (طباق)	الترادف والتضاد موجود بكثرة في صفحات الكتاب
٧	مسيره . مصيره	جناس ناقص	
٨	وضوحا وخفاء قربا وبعدا	تضاد (طباق)	
٩	أمرا ونهيا	تضاد (طباق)	
٩	العروبة والعجمة	تضاد (طباق)	
١٠	عصر ومصر	جناس ناقص	
١١	قديما وحديثا	تضاد (طباق)	
١٢	الظلمات والنور	تضاد (طباق)	
١٤	ليل ونهار	تضاد (طباق)	
١٦	وهي أربع مقامات كلية على النحو التالي:مقام	التفصيل بعد الإجمال	وهو كثير .
١٨	تفسير القرآن وتأويله	ترادف	
٢٦	الوصف والنعت	ترادف	
٣٠	التكرار والإعادة	ترادف	
٥١	الثرثرة والتشدق	ترادف	
٦٤	الإحكام	المشترك اللفظي	

٥	إذا ما كان ذلك حقيقة مسلمة	جملة اعتراضية غرضها التوضيح	
٧ ٨ ١٢	سبحانه وبحمده	جملة اعتراضية غرضها الدعاء والتنزيه	أكثر من جملة اعتراضية في الصفحة.
٣٣	البيان	المشترك اللفظي	

المعجم اللغوي:

تفرّد الشيخ محمود توفيق في اختيار مفرداته، فالقارئ لكتابه المعنى القرآني يجد مفردات وعبارات عديدة تميز بها الشيخ محمود توفيق، منها:

الشريج: فصل	المعقد: مبحث
النجوم: الآيات	المقصود الأعظم
نسق التلاوة والمديد	النسق التصاعدي
النسق التنازلي	السياق الأعظم
مدرجة السياق الترتيلي	السياق القريب
السياق المديد	مدراج المعنى القرآني
المعنى التكليفي	المعنى التثقيفي
المعنى الإحساني	الغرض المرحلي
المغزى المرحلي	حركة المعنى
متلقي البيان	الفؤاد المعافى

٣ – ٥ فقه الاستنباط وسبله

الاستنباط في اللغة:



قال ابن فارس: " (نَبَطَ) النُّونُ وَالْبَاءُ وَالطَّاءُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى اسْتِخْرَاجِ شَيْءٍ .وَاسْتَنْبَطْتُ الْمَاءَ: اسْتَخْرَجْتُهُ، وَالْمَاءُ نَفْسُهُ إِذَا اسْتُخْرِجَ نَبَطَ " [١].

اصطلاحًا:

قال ابن القيم: " الاستنباط هُوَ اسْتِخْرَاج الشَّيْء الثَّابِت الْخَفي الَّذِي لَا يعثر عَلَيْهِ كل أحد، وَمِنْه استنباط المَاء وَهُوَ استخراجه من مَوْضِعه، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى وَلَو ردُّوهُ إِلَى الرَّسُول وإلى أولي الأمر مِنْهُم لعلمه الَّذِي يستنبطونه مِنْهُم، أَي يستخرجون حَقِيقَته وتدبيره بفطنهم وذكائهم وَإِيمَانهمْ ومعرفتهم بمواطن الْأَمْن وَالْخَوْف" [٢].

الاستنباط عند الشيخ محمود توفيق – حفظه الله –:

" هو استنتاج حكم كليّ من جزئيات، فهو شأنه شأن التفكير العلمي يعتمد على أركان أوجزها في استقراء الجزئيات، وتصنيفها، ثم تحليلها وتأويلها وتعليلها، ثم استنتاج أمر كلي ضابط "[١].

وقال الدكتور مساعد الطيار إن: "الاستنباطَ ربط كلامٍ له معنى بمدلول الآيةِ، بأي نوعٍ من أنواع الربطِ، كأن يكون بدلالة إشارةٍ أو دلالة مفهومٍ، أو غيرها، وكلُّ كلامٍ رُبِطَ بمعنى الآيةِ فإنه من هذا الباب؛ لأنَّ الذي يقول به يرى أنَّ الآيةَ دلَّت عليه بأي نوعٍ من أنواع الدِّلالة. وقد يكون استنباطَ حكمٍ فقهيٍّ، أو يكونُ استنباطَ أدبٍ تشريعيٍّ عامٍّ، أو يكونُ استنباطَ أدبٍ أخلاقيٍّ في معاملةِ الناسِ، أو يكونُ استنباطَ فوائدَ تربويةٍ

---

[١] مقاييس اللغة، ابن فارس، الجزء الخامس، ص ٣٨١.

[٢] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، الجزء الثاني، ص ١٠٣.

[١] سبل الاستنباط من القرآن والسنة، محمود سعد، ص ٣٨.

تتعلق بتزكيةِ النفوسِ، أو يكون استنباطَ فائدةٍ علميةٍ" [1].

وقد بيّن الشيخ محمود توفيق – حفظه الله – في استنباط المعنى القرآني، أن لكلمة معنى ثلاث جهات، وهي[2]:

١- من جهة المتكلم، وهي أقرب المعاني من كلمة (المقصود).

٢- من جهة النظم، وهو أقرب المعاني من (المضمون) ما هو مكنون في النص.

٣- من جهة السامع، وهو المعنى المفهوم.

أن للمعنى القرآني، ضربين[3]:

- معنى جمهوري: وهو الظاهر ولا يحتاج المرء فيه إلى مهارة الاستنباط.
- معنى إحساني: وهو المكنون والباطن، ويحتاج المرء فيه إلى مهارة الاستنباط والتدبر.

أركان وشروط صحة المعنى القرآني عند الشيخ محمود توفيق – حفظه الله –: " كل ما أبانه الله – تعالى – في كتابه العليّ المنزل على سيدنا محمد ﷺ بلسان عربي مبين، ويدركه ويستنبطه الأعيان من أهل العلم من النص القرآني في سياقه

---

(١) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ، ص ١٦٠ – ١٦١.

(٢) سبل الاستنباط من القرآن والسنة، محمود سعد، ص ٣٨ – ٣٩.

(٣) المعنى القرآني، ٧٢ – ٧٣.



القريب والمديد وفقًا لأصول الفهم والاستنباط وضوابطهما"[١].

نستخلص من قوله ضوابط الاستنباط، وهي:

١- الالتزام بما أنزله الله – سبحانه وتعالى –.

٢- الالتزام بكلام نبيه الكريم ﷺ.

٣- عدم الخروج عن ما يقولونه أهل العلم الأعيان في فهم أصول القرآن والسنة.

٤- تتطابق قول الأعيان مع النص البياني الكريم.

أصول الاستنباط عند الشيخ محمود توفيق – حفظه الله –:

١- القرآن الكريم.

٢- السنة النبوية.

٣- الصحابة والتابعين.

٤- الإجماع.

دلالات الاستنباط عند الشيخ محمود توفيق – حفظه الله –، ولها جهات عدة[٢]:

- دلالة نوع الدال – دلالة العبارة، ويشترط بها أن يساق الدال إلى المدلول سرقًا رئيسًا، فالاعتبار بسياق القصد، وذلك يدل على عدم الانصراف إلى العبارة وحدها دون الاعتداد بسياق القول ومقصدية الإبانة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[البقرة: ٢٧٥]،وبيّن أن حين يلتقي مغفولا عن سياقه

---

(١) السابق، ٤٧.

(٢) ينظر: المعنى القرآني، ص ٤٩٤ – ٥٠٤.

يحسب أن النظم مسوق سوقًا أصليًا لبيان حكم البيع وحكم الربا؛ لأن سياق النظم جاء للرد على افتراء المقترفين الربا، فجاءت الآية لتفرق بين البيع والربا.

- دلالة الظهور والخفاء، حيث إن البيان فيه ما هو ظاهر وخفي، فمنهم من يصل إليه عن طريق المتشابه ومنهم من لا يصل إليه، وذلك يدل على أن العباد في تلقيه متفاضلون.
- دلالة الإحكام والاحتمال، وهذا في دلالة الصورة على المعنى لا في دلالة الدال والمدلول، مثل قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١]، أن الإحكام هنا إلى الإجمال الذي يقابله التفصيل، فالمفصل من المحكم وله وإليه، وثم في قوله (ثم فصلت) هادٍ إلى ما بين المجمل والمفصل من تفاوت درجة التبيين.
- دلالة العموم والخصوص، في حين أن بعض الصور في سياقاتها تدل على معنى عام يراد به العموم، وقد تدل بعض الصور على العموم وفي سياقه خاص.
- دلالة الإطلاق والتقييد.

٤ – ٥ السياق

المتأمل في كتاب الشيخ يجد أنه متأثر بالقرآن الكريم تأثرًا كبيرًا ينعكس ذلك على طريقة أسلوبه ومفرداته، مثل قوله: " دال دلالة بينة محكمة على أن الإيمان..."[(١)] فانظر في كلمة بينة ومحكمة تجد أنه مستمدها من القرآن الكريم.

وكما أنه استشهد كثيرًا بالحديث النبوي والقدسي في كتابه، واعتمد في ذلك على مصنفات الحديث المختلفة من أهمها:

---

(١) السابق، ص ٣٣.



- الجامع الصحيح للإمام البخاري.
- المسند الصحيح للإمام مسلم.
- سسن أبي دواد السِّجِسْتاني.
- سنن الدّارمي السمرقندي.
- سنن الترمذي.

وغيرها من كتب السنن الأخرى.

الصحابة والتابعون:

ومن أبرز الصحابة الذين استشهد بهم الشيخ:

- ابن عباس – رضي الله عنه –.
- عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه –.
- حكيم بن حزام – رضي الله عنه –.
- أبي أمامة الباهلي – رضي الله عنه –.
- أبي الدرداء – رضي الله عنه –.
- معدان بن أبي طلحة – رضي الله عنه –.

وغيرهم من الصحابة والتابعين – رضوان الله عليهم –.

وتجد أيضًا أنه متأثر بكلام الإمام عبد القاهر الجرجاني، حيث إنه جعل كتابيه أساسًا في بلاغة القرآن، لذلك تجد أنه اقتبس كثيرًا من أقواله، وعقب على كلامه واستفاد من كلامه في كثيرٍ من مواضع هذا الكتاب، وتجده أيضًا ذكر في عدة مواضع دراسات شيخه محمد أبو موسى وذلك دليلًا على تأثره به.

ومن المصادر التي اعتمد عليها في كتابه، هي:

مصادر أدبية وللغوية:

- البيان والتبين للجاحظ – الخصائص لابن جني – منهاج البلغاء وسراج الأدباء للقرطاجني.

مصادره من كتب الدراسات البيانية:

- أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز للجرجاني .
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.
- الأساس في التفسير لسعيد حوّى .
- إعجاز القرآن للباقلاني .
- البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي .
- البرهان في تناسب سور القرآن للغرناطي .
- بيان إعجاز القرآن للخطابي .
- النبأ العظيم لمحمد دراز .
- تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير للحرالي .
- دراسات لأسلوب القرآن لمحمد عضيمة .
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب لشرف الطيبي.
- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي .
- مفاتح الغيب للرازي .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي .
- النكت في إعجاز القرآن للرماني.
- الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي.
- نظرات في فاتحة الحكيم لمحمد دراز .

مصادر في النقد الحديث:

- النقد الفني دراسة جمالية فلسفية لجيروم ستولنيتز، ترجمة: فؤاد زكريا.

المصادر الحديثة:

- الإعجاز البلاغي لمحمد أبو موسى.
- آل حم الشورى – الزخرف – الدخان دراسة في أسرار البيان لمحمد أبو موسى.
- آل حم غافر – فصلت دراسة في أسرار البيان – لمحمد أبو موسى.
- آل حم الجاثية – الأحقاف دراسة في أسرار البيان – لمحمد أبو موسى.
- تقريب منهاج البلغاء لمحمد أبو موسى.
- الزمر – محمد وعلاقتهما بآل حم دراسة في أسرار البيان – لمحمد أبو موسى.
- مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني لمحمد أبو موسى.
- علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم لإبراهيم الهدهد.

وذلك يدل على أن مصادره كثيرة ومتنوعة وهي تمثل التراث الإسلامي، ولكن هناك مصادر أكثر تأثيرًا في الشيخ وغالبًا هي كتابيّ عبدالقاهر الجرجاني، وكتب أصول الفقه، وكتب الشيخ محمد أبو موسى – حفظه الله –، ودراسة الدكتور إبراهيم الهدهد (علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم).

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث الذي تحدث فيه عن منهج التدبر عند الشيخ محمود توفيق في كتابه المعنى القرآني، نستعرض أهم النتائج الذي توصل إليها البحث، وهي:

- أن التدبر والتفكر يورثان العبد أنواعا من العبودية لله تعالى، ومنافع جمة في أمر دينه، قد تفوق بعض العبادات الظاهرة، وذلك لأن التدبر من العبادات القلبية، والعبادات القلبية أصل عبادات الجوارح وباعثها.
- أن علم البلاغة له دور أساس في تدبر القرآن، وذلك من خلال معرفة المعنى المقصود من المفردة والآية والسورة.
- أن منهج التدبر عند الشيخ محمود ظاهرٌ في جميع زوايا كتابه، فهو يتدبر البيان العالي، وغيره مثل كلام الإمام عبد القاهر، فمنهج التدبر عنده أصبح سمة من سماته.
- أن الشيخ محمود وظف منهج التدبر للغرض المحوري، وهو الوصول إلى المعنى القرآني وبيان حركة ذلك المعنى.
- أن الشيخ محمود توفيق جعل القراءة التدبرية هي السبيل الأعظم إلى حسن استنباط المعاني من البيان العالي.
- من خلال دراستي وجدت أن الشيخ محمود توفيق كان حريصًا على أن يجعل المتلقي يدرك عظمة تدبر المعنى القرآني، ولكنه كان أشد حرصًا في أن يدله على الطريق القويم في سبيل الغوص للمعنى القرآني، وذلك كله مدفون في خبايا كتابه المنير.

وأخيرًا فإن هذه الدراسة لأجل إلقاء الضوء على عظمة تدبر كتابه الكريم من خلال الشيخ الفضيل محمود توفيق – حفظه الله ورعاه –، ومع كل ما بذلته في دراستي

من جهد كبير، فلست أزعم أنني أحطتُ بكل جوانب هذا الموضوع، وأبرزتُ خبايا كتابه الفضيل، وإنما هي ومضات وإضاءات وخطوات لباحثة ما زالت تنقل الخطى على مهل خشية الوقوع في زلل، وأتمنى من الله السداد والرشاد في دراستي هذه، وأرجو أن أكون قد أتممت بحثي، وبينت ما فيه بطريقة موجزة، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأتُ فما زِلْتُ أتعلم، والقصورُ من طبيعةِ البشر.

انتهى بحمد الله ونعمته، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

التوصيات:

- هذه هي المحاولة الأولى بالنسبة لهذا الموضوع، وأرجو أن تتلوها خطوات ومحاولات كثيرة بعدها، تكمل ما فيه من النقص، وتقوّم ما قد يكون فيه من اعوجاج.
- أدعو الدارسين إلى توجيه عنايتهم بدراسة منهج الاستنباط وفقهه في كتب الشيخ محمود توفيق.
- ضرورة الإكثار من الدراسات حول كتب الشيخ محمود توفيق ؛ لأنها كنز ثمين لا يقدر.

- **Recommendations:**
- **This is the first attempt with regard to this subject, and I hope that follow it with many steps and many attempts after that, to complete the shortcomings in it, and correct the crookedness that may be in it.**
- **I invite scholars to direct their attention to the study of the method of deduction and its jurisprudence in the books of Sheikh Mahmoud Tawfiq.**
- **The necessity for more studies on Sheikh Mahmoud Tawfiq books; it is an invaluable treasure**

المراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ .

٤- المعنى القرآني: معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة رؤية منهجية ومقاربة تأويلية، محمود توفيق محمد سعد، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.

٥- صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزيه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١هـ .

٦- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م.

٧- البرهان في علوم القرآن، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .

٨- بيان إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، تحقيق: محمد خلف الله – محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

٩- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى،١٩٨٧ م.

١٠- التحرير والتنوير " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد "، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ .

١١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري جار الله،دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ .

١٢- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٣- دلائل الإعجاز، أبي بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – القاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م .

١٤- أسرار البلاغة، أبي بكر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.

١٥- التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين محيي بن شرف النووي، تحقيق: محمد الحجار، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

١٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ .

١٧- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت .

١٨- مدخل إلى كتابي عبدالقاهر الجرجاني، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٩- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَوائد، محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي،تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع، مكتبة ابن كثير، الكويت - دار ابن حزم، الطبعة الأولى،١٩٩٨م.

٢٠- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيميه الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: ناصر عبدالكريم العقل، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٢١- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ .

٢٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ .

٢٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .

٢٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٢٥- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد حامد، تخريج: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٦- شرح الاقتصاد في الاعتقاد، عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن الراجحي، الشبكة الإسلامية .

٢٧- العزفُ على أنوار الذِّكر: معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة، محمود توفيق محمد سعد، مكتبة علاء الدين، شبين الكوم – المنوفية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٨- دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين – دراسة منهجية تحليلية، د. محمود توفيق محمد سعد،مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٧م .

٢٩- سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة، محمود توفيق محمد سعد، مكتبة – وهبة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م .

٣٠- فتاوى دكتور حسام عفانة، حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة، ٢٠١٠م .

٣١- مفهوم التدبر، تحرير وتأصيل، مساعد بن سليمان الطيار، أوراق عمل الملتقى العلمي الأول تدبر القرآن الكريم، إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م .

٣٢- استراتيجية ابن باديس في تدبر القرآن، محمد عبدالله زرمان، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ٢٠١٦م .

٣٣- مبادئ تدبر القرآن الكريم، عبدالمحسن بن زبن المطيري، مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م .

٣٤- أرشيف ملتقى أهل التفسير، ٢٠١٠م، https://al-maktaba.org/book/31871/1195#p28

فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة

سورة البقرة

فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾		
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾	٣٩	٣٥١٥
﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾	٤٠	٣٥١٦
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾	١٦٧	٣٥١٥
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾	١٦٨	٣٥١٦
﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾	٢١٩	٣٤٤٦
﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	٢٢١	٣٤٤٦
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ (٢٥٥) لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾	٢٥٥ – ٢٥٧	٣٥٠٢

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٦١	٣٥١٨
﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾	٢٧٥	
﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾	٢٨٣	٣٥١٦ ، ٣٥١٩
﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	٢٨٤- ٢٨٦	٣٥٠٢

سورة آل عمران

﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	١٣٣	٣٥٠٨
﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	١٣٨	٣٤٨٩

سورة النساء

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾	٨٢	٣٤٣٧،

سورة الأنعام

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾	٣٨	
﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	١٥٥	٣٤٤٧

سورة يونس

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾	٢٦	٣٤٦٥

سورة هود

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	١	٣٤١٩، ٣٥٤٥

سورة يوسف

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	٢	٣٤٢٨

سورة الرعد

﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾	٢١	٣٤٧٣

سورة إبراهيم

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	٤	٣٤٨١

سورة الحجر

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	**٣٤٩٠**

سورة النحل

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾	٩٨	٣٤٧٦

سورة الإسراء

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾	٤١	٣٤٨٠

سورة الكهف

﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾	١٦	٣٥٠٨

سورة المؤمنون

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	٦٨	٣٤٣٧

سورة الشعراء

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٩٢–٩٨	٣٥٢٨
﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾	١٩٢– ١٩٥	٣٤٩٣

سورة النمل

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾	١٨	٣٥٠٠
﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾	٢٢	٣٥٠٠

سورة العنكبوت

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	٦٩	٣٤٦٥

سورة الأحزاب

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾	٥٦	٣٤٦٦

سورة ص

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	٢٩	٣٤٢١، ٣٤٣٧، ٣٤٣٨، ٣٤٤٢، ٣٤٦٦
﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٨٢	٣٥١٥



سورة الزمر

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾	٢٣	٣٤٤٧، ٣٤٦٦، ٣٤٦٩
﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾	١٤	٣٤٧٤
﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾	٢٧ –٢٨	٣٤٥٧

سورة فصلت

﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾	٤٤	٣٤٨٠

سورة محمد

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾	٢٤	٣٤٢٢، ٣٤٣٧،

سورة ق

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾	٣٦، ٣٧	٣٤٤٩

سورة الذاريات

﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٥٥	٣٤٩٠

سورة الرحمن

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	١٣	٣٥١٠
﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾	٦٠	٣٤٦٥

سورة الحديد

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ	٢١	٣٥٠٨

أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾		

سورة الملك

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾	١٢	٣٤٧٣

سورة النازعات

﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴾	٦-٨	٣٥٢٠

سورة البروج

﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴾	٢١، ٢٢	٣٤٩٢

سورة القدر

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾	١	٣٤٩٢

فهرس الأحاديث النبوية

« فُصِلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ ...»	المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الجزء الثاني، كتاب المستدرك على الصحيحين.	
«من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال»	أخرجه مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق المسند: إسناده صحيح، برقم (٨٠٩).	٣٤٩٩

جدول المحتويات